

# المسحاة

مجلة

المجلد الحادي عشر  
الجزء الرابع والخامس



إهداء من

طبعة دار الوفاء  
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

في الحكيمة من فضلكم  
بشركم في الحكيمة من فضلكم

المجلد  
١٣١٥

في الحكيمة من فضلكم  
بشركم في الحكيمة من فضلكم

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام سوى ر « منارا » كنار الطريق

(مصر السبت ٢٩ ربيع الآخر ١٣٢٦ — ٣٠ مايو (أيار) سنة ١٩٠٨)

# فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

قد هنا هذا الباب لاجابة أسئلة المتفرجين خاصة ، اذ لا يسع الناس طاعة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه واقبله وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالترتيب فالباور عما قدمنا من غير السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا . ولأن يفتي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا طرر صحيح لا نقاله

## محيط ترجمة القرآن

(س) من الشيخ حسن شاه افندي احمد (بروسيا)

حضرة الأستاذ السيد محمد رشيد رضا

نرجوا ان تعيروا جانب الالتفات لهذه المسألة المهمة :

ذكر الفاضل أحمد مدحت افندي من علماء الترك العثمانيين في كتابه « بشارت

صدق نبوت » ما ترجمته :

ان ترجمة القرآن مسألة مهمة عند المسلمين وجميع المباحثات التي دارت بشأن ترجمة هذا الكتاب المجيد لم ترس على نتيجة وذلك لوجوه (الاول) ان ترجمته بالتمام غير ممكنة لإعجازه من جهة البلاغة (والوجه الثاني) ان فيه كثيراً من الكلمات لا يوجد لها مقابل في اللغة التي يترجم اليها فيضطر المترجم الى الاتيان بما يدل عليها مع شيء من التغير ثم اذا نقلت هذه الترجمة الى لغة أخرى يحدث فيها شيء من التغير أيضاً وهلم جراً فيخشى من هذا ان يفتح طريق لتحريف القرآن وتفسيره (الوجه الثالث) أن كلمات الكتب السماوية يستخرج منها بعض إشارات وأحكام بطريق الحساب فإبدالها بالترجمة يسد هذا الطريق . مثال ذلك أن سعدي جلبي كتب في حاشيته على البيضاوي عند تفسير سورة الفاتحة انه اذا اخرجت الحروف المكررة من سورة الفاتحة التي هي اول القرآن وسورة الناس التي هي آخر سورة تكون الحروف الباقية ثلاثة وعشرين . قال في ذلك إشارة الى مدة سني النبوة



المحمدية » فاذا ترجم القرآن لا يبقى في الترجمة مثل هذه الفوائد التي هي من جملة معجزاته انتهى « من بشار صدق نبوت »

أما أدباؤنا معشر الترك الروسين فأنهم مصررون على ترجمته ويقولون لا معنى للقول بأنه لا يجوز ترجمة القرآن إلا إيجاب بقائه غير مفهوم فلذا يذهبون إلى وجوب ترجمته وهو الآن يترجم في مدينة قزاق وتطبع ترجمته تدريجاً وكذلك تثبت بترجمته إلى اللسان التركي زين العابدين حاجي الباكوي أحد فدائية القفقاز فرجو من حضرة الاستاذ التدبر في هذه المسألة حرره الامام الحقيراً حسن شاه أحمد الكاتب الديني السباري

(ج) ان من قصير المسلمين في نشر دينهم ان لا يبينوا معاني القرآن لأهل كل لغة بلغتهم ولو بترجمة بعضه لهم لأجل دعوة من ليس من أهله إليه وإرشاد من يدخل فيه عند الحاجة بقدر الحاجة . وان من زلزال المسلمين في دينهم أن يتفرقوا إلى أمم تكون رابطة كل أمة منها جنسية نسبية أو لغوية أو قانونية ويهجروا القرآن المنزل من الله تعالى على خاتم رسله المعجز بأسلوبه وبلاغته وهدايته المتعبد بتلاوته اكتفاء بأفراد من كل جنس يترجمونه لهم بلغتهم بحسب ما يفهم المترجم هذا الزلزال أثر من آثار جهاد أوروبا السياسي والمدني للمسلمين . زين لنا ان نتفرق وننقسم إلى اجناس ظاننا كل جنس منا ان في ذلك حياته وما ذلك إلا موت للجميع . ولا نطيل في هذه المسألة هنا ولسكننا نذكر شيئاً مما يخطر في البال أسد هجر المسلمين القرآن المنزل « بلسان عربي مبين » استغناء عنه بترجمة أعجمية يفهم عنها تفسيره بلغتهم مع المحافظة على نصه المتواتر المحفوظ من التحريف والتبديل مع مراعاة الاختصار فنقول

(١) إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الأصل متعذرة كما يعلم من المسائل الآتية والترجمة المعنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن أو فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين وحينئذ لا تكون هذه الترجمة هي القرآن وإنما هي فهم رجل للقرآن يخطئ في فهمه ويصيب ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة بالمعنى الذي تنكره (٢) إن القرآن هو أساس الدين الاسلامي بل هو الدين كله اذ السنة ليست



دينا الا من حيث انها مينة له . فالذين يأخذون بترجمته يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم لانفس القرآن المنزل من الله على رسوله محمد ( ص ) . والاجتهاد بالقياس إنما هو فرغ عن النص والترجمة ليست نصا من الشارع ، والاجماع عند الجمهور لا بد أن يكون له مستند والترجمة ليست مستندا . فعلى هذا لا يسلم لمن يجادلون ترجمة القرآن قرآناً شياً من اصول الإسلام

( ٣ ) ان القرآن منع التقليد في الدين وشنع على المقلدين فأخذ الدين من ترجمة القرآن هو تقليد لترجمته فهو إذاً خروج عن هداية القرآن لا اتباع لها ( ٤ ) ويلزم من هذا حرمان المقتصرين على هذه الترجمة بما وصف الله به المؤمنين في قوله ( ١٢ : ١٠٨ ) قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني(وامثالها من الآيات التي تجعل من مزايا المسلم استعمال عقله وفهمه فيما أنزل الله ( ٥ ) وكما يلزم حرمانهم من هذه الصفات العالية يلزم منع الاجتهاد والاستنباط من عبارة المترجم لأن الاجتهاد فيها مما لا يقول به مسلم

( ٦ ) ان من يعرف لغة القرآن وما يحتاج اليه في فهمه كالسنة النبوية وتاريخ الجليل الاول الذي ظهر فيه الاسلام يكون مأجورا بالعمل بما يفهمه من القرآن وإن أخطأ في فهمه لأنه بذل جهده في الاهتداء بما أنزله الله هداية له . كما يعلم ذلك من معاملة النبي ( ص ) لأصحابه فيما فهموه من كيفية التيمم اذ عذر المختلفين في فهمها والعمل بها ومثله معاملته لم فيما فهموه من نهي عن صلاة العصر الا في قريظة ولذلك شواهد أخرى . ولا إخال مسلماً يجعل لعبارة مترجم القرآن هذه المزية

( ٧ ) ان القرآن ينبوع للهداية والمعارف الإلهية لا تخاف جدته ، ولا قضا تجدد هدايته ، وتفيض للقارئ على حسب استعداده حكمته ، فربما ظهر للمتأخر من حكمه وأسراره ما لم يظهر لمن قبله تصديقا لعموم حديث « قرب مبلغ أوعى من سامع » وترجمته تبطل هذه المزية اذ تقيد القارئ بالمعنى الذي صورته المترجم بحسب فهمه . مثال ذلك ان المترجم قد يجعل قوله تعالى ( ١٥ : ٢٢ ) وأرسلنا الرياح لواقح ) من المجاز بالاستعارة أي ان اتصال الريح بالسحاب وحدوث المطر عقب ذلك يشبه تلقح الذكر للأنثى وحدوث الولد بعد ذلك كما فهم بعض المفسرين ، فإذا هو

جرى على ذلك بأن فرضنا أنه لا يوجد في اللغة التي يترجم بها لفظ يقوم مقام «لواقع» العربي في احتمال حقيقته ومجازه إذا أطلق فإن القارئ يتقيدون بهذا الفهم ويتبع عليهم أن يفهموا من العبارة ما هي حقيقة فيه وهو كون الرياح لواقع بالفعل إذ هي تحمل مادة اللقاح من ذكر الشجر إلى أناته . فإن لم ينطبق هذا المثال على القاعدة لتيسر ترجمة الآية ترجمة حرفية فإن هناك أمثلة أخرى وحسبنا أن يكون هذا موضحاً . والترجمة تفت بنا عند حد من الفهم يعوزنا معه الترقى المطالب (٨) ذكر الغزالي في كتاب «إلجام العوام عن علم الكلام» أن ترجمة آيات الصفات الإلهية غير جائزة واستدل على ذلك بما هو واضح جداً وقد ذكرنا عبارته في تفسير (٣: ٦) هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) وبين أن الخطأ في ذلك مدرجة الكفر (١)

(٩) ذكر الغزالي في الاستدلال على ما تقدم أن من الألفاظ العربية ما لا يوجد لها فارسية تطابقها — أي ومثل الفارسية التركية وغيرها — فما الذي يضل المترجم في مثل هذه الألفاظ وهو أن شرحها بحسب فهمه ربما يوقع قارئ ترجمته في اعتقاد مالم يردده القرآن

(١٠) وذكر في ذلك أيضاً أن من الألفاظ العربية ما لها فارسية تطابقها « لكن ما جرت عادة الفرس باستعانتها للعاني التي جرت عادة العرب باستعانتها منها » فإذا أطلق المترجم اللفظ الفارسي يكون هنا مؤدياً المعنى الحقيقي للفظ العربي وربما كان مراد الله هو المعنى المجازي ومثل الفرس غيرهم من الأعاجم . وهذا المقام من مرزلات الاقدام إذا كان الكلام عن الله عز وجل وصفاته وأفعاله

(١١) وذكر أيضاً في هذا المقام أن من هذه الألفاظ ما يكون مشتركاً في العربية ولا يكون في العجمية كذلك . فقد يختار المترجم غير المراد لله من معني المشترك ولا يخفى ما فيه وقد مرّ نظيره آنفاً

(١٢) من المقرر عند العلماء أنه إذا ظهر دليل قطعي على امتناع ظاهر آية من آيات القرآن فإنه يجب تأويلها حتى تتفق مع ذلك الدليل . والفرق بين تأويل

ألفاظ القرآن وتأويل ألفاظ ترجمته لا يخفى على عاقل لا سيما في الآيات المتشابهات والألفاظ المشتركة

(١٣) ان لنظم القرآن وأسلوبه تأثيراً خاصاً في نفس السامع لا يمكن أن ينقل بالترجمة واذافات يفوت بفوته خير كثير فباطل ما كان جاذباً إلى الإسلام حتى قال أحد فلاسفة أوربا (وهو فرنسي نسي اسم) ان محمداً كان يقرأ القرآن بحال مؤثرة تجذب السامع إلى الإيمان به فكان تأثيره اشد من تأثير ما ينقل عن غيره من الانبياء من المعجزات . وحضر الدكتور فارس افندي تلمذة للاحتفال السنوي لمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة فافتتح الاحتفال بتليذ بقراءة آيات من القرآن فقال لي الدكتور فارس افندي ان لهذه القراءة تأثيراً عميقاً في النفس ثم لما كتب خبر الاحتفال في جريدته (المقطم) كتب ذلك . فاذا كان لتلاوة القرآن هذا التأثير حتى في نفس غير المؤمن به فكيف نحرّم منها المسلمين بترجمة القرآن لهم (١٤) اذا ترجم القرآن التركي والفارسي والهندي والصيني الخ فلا بد ان يكون بين هذه التراجم من الخلاف مثل ما بين تراجم كتب العهد العتيق والعهد الجديد عند النصارى وقد رأينا ما استخرجه لهم صاحب إظهار الحق من اختلافات التي كنا نقرأها ونحمد الله تعالى ان حفظ كتابنا من مثلها فكيف نختارها بعد ذلك لأنفسنا (١٥) ان القرآن هو الآية الكبرى على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بل هو الآية الباقية من آيات النبيين وانما يظهر كونه آية باقية محفوظة من التغيير والتبديل والتحريف والتصحيف بالنص الذي نقلناه عن جاء به من عند الله والترجمة ليست كذلك هذا ما تراءى لنا من الوجوه المانعة من ترجمته للمسلمين ليكون لهم قرآن أعجمي بدل القرآن العربي واذا كان بعض هذه الوجوه مما يمكن ادخاله في البعض وانما ذكر هكذا لزيادة الايضاح فان هناك وجوهاً أخرى يمكن استنباطها لمن تأمل وفكر في وقت صفاء الذهن وصحة البدن بل منها ما تركناه مع تذكره كاستعمال المشترك في معنيه واللفظ في حقيقته ومجازه كما حققه بعض أهل الاصول كالشافعية

اما دعوى القائلين بوجوب ترجمته أن عدم جواز الترجمة يستلزم ايجاب بقائه غير مفهوم فهي ممنوعة فأننا نقول ان فهمه سهل ولكن ليس لأحد أن يجعل فهمه



## (المارج ٤م ١١) انتشار العربية مع الاسلام ثم عود الاعاجم الى الجنسية ٢٧٣

حجة على غيره فكيف يجعله ديناً لشعب برمه . وإن لاهتداء المسلم الأعجمي بالقرآن درجتين - درجة دنيا خاصة بالعوام الذين لا يتيسر لهم طلب العلم فيحفظون الفأحة وبعض السور القصيرة لأجل قراءتها في الصلاة ويترجم لهم تفسيرها ، وقرأ امامهم في مجالس الوعظ بعض الآيات ويذكرونها تفسيرها بفهمهم كما جرى عليه كثير من الاعاجم حتى بلاد الصين - ودرجة عليا للمشتغلين بالعلم وهؤلاء يجب ان يتقنوا لغته ويستقلوا بفهمه مستعينين بكلام المفسرين غير مقلدين لأحد منهم

ان الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام على أيدي الصحابة الكرام قد فهموا ان للاسلام لغة خاصة به لا بد ان تكون عامة بين أهله ليفهموا كتابه الذي يدينون به ويهتدون بهديه ويعبدون الله بتلاوته ولتحقق بينهم الوحدة المشار إليها بقوله فيه (٩٢:٢١) ان هذه امتكم امة واحدة) ويكونوا جديرين بأن يعتصموا به وهو جل الله فلا يفرقوا وتكمل فيهم اخوة الاسلام التي حتمها عليهم بقوله (١٠:٤٩) انما المؤمنون اخوة) ولذلك انتشرت اللغة العربية في البلاد التي فتحها الصحابة بسرعة غريبة مع عدم وجود مدارس ولا كتب ولا اساتذة للتعليم واستمرت الحال على ذلك في زمن الامويين في الشرق والغرب وفي أول مدة العباسيين حتى صارت العربية لغة الملايين من الاوربيين والبربر واقبط والروم والفرس وغيرهم في ممالك تمتد من القاموس المحيط الغربي (الاتلاتيك) الى بلاد الهند فكل كان هذا الاخير اعظمت آتخت فيه شعوب كثيرة وتعاونت على مدينة كانت زينة للأرض وضياء ونورا لاهلها ؟

ثم هذا المأمون في الشرق هفوة سياسية حركت العصبية الجنسية في الفرس فأنشأوا يراجعون الى لغتهم ويعودون الى جنسيتهم ، وجاء الاتراك ففعلوا بالعصبية الجنسية ما فعلوا ، فسقط مقام الخلافة وتمزق شمل الاسلام بقوة ملوك الطوائف . ولكن لم تصل الفتنة بالناس الى ايجاد قرآن أعجمي للأعاجم وبقاء القرآن العربي المنزل خاصا بالعرب بل بقي الدين والعلم عربيين وراء إمامها الذي هو القرآن فالواجب على دعاة الإصلاح في الاسلام الآن ان يجتهدوا في إعادة

(المارج ٤) (٣٥) (المجلد الحادي عشر)

الوحدة الإسلامية الى ما كانت عليه في الصدر الأول خير قرون الاسلام وان يستعينوا على ذلك بالطرق الصناعية في التعليم فيجعلوا تعلم العربية إجباريا في جميع مدارس المسلمين ويحبوا العلم بالإسلام بطريقة استقلالية لا يتقيدون فيها بآراء المؤلفين في القرون الماضية المخالفة لطبيعة هذا العصر في أحوالها المدنية والسياسية. ولكننا نرى بعض المفتوين من سياسة أوربا يماونونها على تقطيع بقية ما ترك الزمان من الروابط الإسلامية بتقوية العصبية الجنسية حتى صار بعضهم يحاول إغناء بعض شعوبهم عن القرآن المنزل : ألا إنها فتنة في الأرض وفساد كبير وفي الله المسلمين شره . فهذا ما أقوله الآن في ترجمة القرآن للمسلمين دون تفسيره لهم بلقتهم مع قائده إماما لهم ودون ترجمته لدعوة غيرهم به الى الاسلام مع بيان ان المترجمين المعنى الذي يفهمه هو

### سد يأجوج ومأجوج

(س ٢) من أمين افندي الشباصي مهندسة عقبره (السودان)

فضيلة الاستاذ المرشد صاحب مجلة المنار القراء

كنا في منزل يتلى فيه القرآن الكريم فلما جاء ذكر ذي القرنين ويأجوج ومأجوج والسد قال احد اخواني ان هذه القصة لم يظهر لها أثر تاريخي الآن مع انه صار اكتشاف ما على الارض من قبل ذلك العهد وبعده . قلت له يا اخي لعل هذا الاثر التاريخي يظهر فيما بعد ليكون معجزة للقرآن على عمر الايام كما حصل في قصة فرعون فانه وعد بأن ينحيه ليكون لمن بعده آية وقد تحقق ذلك في هذه الايام . فقال يا اخي ان كلامك هذا هو جواب عليك إذ ان فرعون وخلافه آثار صغيرة جداً مدفونة تحت الارض وظهرت والسد ليس كذلك وهذا وجه استفراحي لأن سياق الآية يدلنا على انه بين جبين كبيرين ومن حديد ونحاس ومن دونه امة كبيرة لو فتح لها ذلك السد لدوخت العالم بأسره ؛ فأين هي تلك الأمة وذلك السد ورسم الكرة الارضية أمام نظري أقلب فيه فلا اجد تلك الأمة ولا ذلك السد . قلت يا اخي اني اظن ان هذه الامة هي أمة التار والسد هو سد الصين المشهور وقد خرجت واخرقت آسيا والهند ومصر واوروبا واخذت الملك من المسلمين وأتذكر

لني رأيت حديثاً في بعض الكتب لا اعرف صحته جاء فيه ما معناه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه ففرغ فلما سألوه عن السبب قال ويل لأمي من السيل المنهل يشير الى قرب خروج يأجوج ومأجوج فلما خرجوا واخذوا الملك من المسلمين في عهد ملك التتر فسر علماء ذلك الوقت هذا الحديث بذلك. وبعد جدال كبير حصل بيننا وعدته بان أفيدته عن يد فضيلتكم بالجواب القطعي فرجائي أن تهيدوا الجواب على صفحات المنار الاغرض حتى يقتنع المشاغب كما هو المشهور في فضيلتكم من إيضاح الحقائق ولفضيلتكم الشكر اقدم

(ج.) سألنا هذا السؤال غير واحد من مصر وروسيا وغيرها من الاقطار ونقول قبل كل شيء ان دعوى معرفة جميع بقاع الأرض باطلة فان بقعة كل من القطبين لاسما القطب الجنوبي لا تزال مجهولة. وقد استدلل بعض العلماء على ان السدين في جهة أحد القطبين بذكر بلوغ ذي القرنين الى موضعه بعد بلوغ مغرب الشمس مطالعها وليس ذلك الا جهة الشمال او جهة الجنوب. ولا يفترض على هذا القول بصعوبة الوسائل الموصلة الى أحد القطبين فان حالة مدينة ذلك العصر وحالة الأرض فيها غير معروفة لنا الآن فبني عليها افتراضا كهذا فإيديرنا ان الاستطراق الى أحد القطبين او كليهما كان في زمن ذي القرنين سهلا فكم من أرض يابسة فاضت عليها البحار فغمرتها بطول الزمان وكم من أرض انحصر عنها الماء فصارت أرضا عامرة متصلة بغيرها او منفردة (جزيرة) وكم من مدينة طمست حتى لا يعلم عنها شيء ومن المعلوم الآن من شؤون المدينيات القديمة بالمشاهدة او الاستدلال ما يجعل بعض اسبابه كالألوان والنقوش والالوان وجر الاثقال عند المصريين القدماء فالقرآن يقول في ذي القرنين « فاتبع سببا حتى اذا بلغ » كذا من مطلع الشمس ومغربها وبين السدين فما هي تلك الاسباب هل هي هوائية او كهر بائية؟ الله أعلم بذلك

هذا ما يقال بالايجاز في رد دعوى معرفة جميع اجزاء الأرض التي بني عليها الاعتراض. ثم ان ما بني على هذه الدعوى باطل وان فرضنا انها هي مسلة وذلك أنه يوجد في الأرض موضعان معروفان يحتمل ان السد كان فيهما أحدهما الموضع الذي يسمى الآن « جريند » بروسيا ومناه التدفوقية موضع يسمى « دوقو » اي باب الحديد



وهو أثر سد قديم بين جبالين يقال انه من صنع بعض ملوك الفرس ويحتمل ان يكون موضع السد . وقد ذكره مطبرون في جغرافيته بما يدل على ذلك ( راجع ص ١٥ و ١٦ ج ٣ ) واخبرني مختار باشا الغازي أنه رأى خريطة جغرافية قديمة لتلك الجهات وفيها رسم ذلك المكان وبيان أن وراءه قيتين اسم إحداها « آقوق » واسم الثانية « ماقوق » . وتعريب هذين اللفظين يأجوج ومأجوج ظاهر جلي . وأما الموضع الثاني فأننا نترجم ما جاء فيه عن بعض التواريخ الفارسية على غرابته وهو : « في الشمال الشرقي من مدينة صنعاء التي هي عاصمة اليمن بعشرين مرحلة (متو بضعه فراسخ) مدينة قديمة تسمى الطويلة . وفي شرقي هذه المدينة واد عميق جداً يحيط به من ثلاث جهات جبال شاهجة متصبة ليس فيها مسالك معبدة فالتوقل فيها على خطر السقوط والهوي وفي الجهة الرابعة منه سهوب فيحاء يستطرق منها الى الوادي ومنه اليها وفجوة الوادي من هذه الجهة تبلغ خمسة آلاف ذراع فارسي ( الذراع الفارسي متر واربعة سنتيمات ) وفي هذه الفجوة سد صناعي يمتد من أحد صد في الجبالين الى الآخر وهو من زبر الحديد المتساوية المقدار فطول هذا السد خمسة آلاف ذراع فاما سمكه فخمسة عشر شبراً واما ارتفاعه فيختلف باختلاف انخفاض أساسه وارتفاعه لأن ارضه غير مستوية . في القرن العاشر للهجرة لما فتح سنان باشا القائد العثماني اليمن وصل الى قلعة تسمى تسام واقعة بجوار هذا السد فأمر بعد زبر الحديد المبني بها السد فقصارى ما تيسر لهم عده منها تسعة آلاف . في طرفي هذا السد قلعتان عظيمنتان محكمتا البناء قديمتان تسمى إحداها قلعة العرصة والثانية قلعة الباحة اه

فهذا الوصف ينطبق على ما جاء في القرآن من وصف السد وبلاد اليمن هي فيما يظهر بلاد ذي القرنين لأن هذا القاب من القاب ملوك العرب الحيريين في حضرموت واليمن المعروفين بالاذواء ( كذي يزن وذي الكلاع وذي نواس ) ولكن ان صح وجود السد فأين يأجوج ومأجوج منهم التردد في تاريخ السوريين قبل الإسلام أو السكيثيين الذين وصفهم حزقيال النبي بما ينطبق على وصفهم في تواريخ اليونان . ويغدهم النصارى رمزا لأعداء الكنيسة

ثم ان لم يكن السد المذكور في القرآن هذا ولا ذاك ولم يكن فيما بقي مجهولاً من

## (المنازع ١١٤م) حكم صور اليد والصور الشمسية ٢٧٧

الأرض فلم لا يجوز ان يكون قد اذك وذعب أثره من الوجود؟ ان قيل يمنع من ذلك ان اندكاه وخروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة اجبا بجوابين (أحدهما) ان قرب الساعة يمتد ألوفا من السنين بدليل أن نبينا نبى الساعة وقرب الساعة نسبي اي هو قرب بالنسبة الى ماضى من عمر الأرض وما يدرينا انه ملايين من السنين (وثانيهما) ان هناك ساعة عامة وساعة خاصة اي ساعة هلاك امة معينة كما ورد في شرح بعض الاحاديث الواردة في الساعة . وربما عدنا الى التفصيل في هذه المسألة

### ﴿ حكم صور اليد والصور الشمسية ﴾

(س ٣) من الشيخ محمد بسيوني في ( سنن برنيو )

حضرة علامه الزمان فريد العصر والاوان سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء نفني الله بعلمه آمين

وبعد تقديم واجبات التحيات والاحترام فالمرجو من تفضلات سيدي الجواب عن السؤال الآتي صورته وهذا هو: ماقولكم دام فضلكم في صورة مشتتة باليد وصورة متخذة بالفوتغراف هل الفرق بينهما متحقق ام لا ؟ وما تقولون فيمن قال ان الصورة التي اتخذت بالفوتغراف ليس فيها فعل صورة بل هي حبس صورة كحبس الصورة التي في المرأة فلا يحرم ولكن يحرم وضع هذه الصورة في البيت لمشابتها الاصنام فهل هذا القول صحيح ام لا أفيدوني سيدي ولكم من الله جزيل الاجر والثواب (ج) صانع الصور مصور سواء صنعها بيده أو بالآلة الشمسية (الفوتغرافية) . وصورة الشي هي صورته سواء صورت باليد أو بالآلة لا فرق بينهما شرعاً ولا عرفاً . واما قول من قال انه يحرم وضع الصور في البيت لمشابتها الاصنام فهو مبني على أصل صحيح وهو أن سبب النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور هو منع تلك الشعار الوثنية أي تعظيم الصور أو عبادتها ولذلك أمر النبي (ص) عائشة بهتك القرام (الستار) الذي كان معلقاً في بيتها لمشابهة الصور التي كانت في الكعبة فلما هتك واتخذت منه وسادة كان (ص) يستعملها ولا يرى في ذلك بأساً . وحديث القرام أخرجه البخاري في صحيحه وغيره . واذا كان القائل يعترف بأن علة تحريم التصوير واتخاذ الصور هي ما ذكر

فأي فرق يبقى عنده بين ماساء قبل الصورة وجس الصورة؟ القصد من الأمرين واحد وفي كل منهما عمل اختياري للمصور فإذا فرضنا أن قوما عبدوا شخصا أو حيوانا أو غيره كما عبد بعض البايّة الرجل المقرب بهاء الله فهل يجوز عند ذلك القائل للمصور المسلم أن يصور لهم مبدوهم بالآلة الشمسية ليظموها ويعبدوها بناء على أن فعله جس تلك الصورة لأفعل لها؟ إن هذا قول لا وجه له فيما نرى والله أعلم

### ﴿الوقف على المساجد والمدارس﴾

(س ٤) مستفيد من ستافوره

ما قول المنار المنير في بناء المدارس للتعليم والوقف عليها وبناء المساجد للصلاة ولا يخفى عليكم ما ورد في فضلها فأني الأمرين من البنائين أفضل أفيدونا

(ج) في المسألة تفصيل فإقامة الجمعة والجماعة في المساجد من شعار الإسلام إذا تركها أهل بلد وجب إلزامهم بها قال الفقهاء ولو بالقتال والموت منها ما هو فريضة ومنها ما هو فضيلة ولا بد لأهل كل بلد منها فإذا وجد في بلد مسجد لإقامة الشعائر أو أكثر عند الحاجة فبناء المدارس والوقف عليها في ذلك البلد أفضل لا محالة بل لا فضل في بناء مسجد لا حاجة إليه لأن من أغراض الشريعة جعل المساجد على قدر الحاجة لما في كثرتها من تفرق المسلمين وإذا أمكن اجتماع أهل البلد في مسجد واحد فهو أفضل من تفرقهم في مسجدين أو أكثر بل ذهب الإمام الشافعي إلى وجوب أداء الجمعة في مسجد واحد إن أمكن في تفصيل سبق لنا الكلام فيه في أحد مجلدات المنار. وإذا وجد في بلد مدارس للتعليم ولم يوجد فيها مسجد لإقامة الجمعة والجماعة فلا شك أن بناء المسجد يكون حينئذ أفضل لتوقف إقامة الشعائر عليه وإنما تأتي المفاضلة في بلد لا مسجد فيه ولا مدرسة ويحتاج أهلها إليهما معا وحينئذ يظهر أنه يجب الابتداء بالمسجد ويمكن أن يصلى فيه ويعلم ما لا بد منه حتى ييسر بناء مكان للتعليم خاص به

وقد تبين مما تقدم أن بناء المدارس أفضل في البلاد التي فيها مساجد تقام فيها الشعائر وأكثر أمصار المسلمين كذلك فبناء المساجد فيها مع عدم الحاجة إليها مضاد

للقصد الشريعة وهو لا يكون عن رياء أو جهل



## السياسة الانكليزية الجديدة في مصر

نشر هذه المقالة بالامضاء الرمزي لكاتبها لما فيها من البشارة بالجلس النيابي :  
كان عهد الدولة الانكليزية في عهد توفيق باشا يدير الأمر معه وما يتفقان  
عليه ينفذ بهدوء وسكون ولكن توفيق باشا كان لضعف إرادته يوائي العبيد فيما  
يريد قلما يراجع في شيء فلما ولي العباس رأى منه ذلك العبيد ما لم يكن يرى من  
والده من المقاومات فكان يتهز فرصة كل حركة لتقوية نفوذ دولته في البلاد  
فأكثر من المستشارين والمفتشين واقضاة وكبار العمال من الإنكليز وفعل ما فعل .  
ثم ظهرت المقاومة في الجرائد وعلى ألسنة الناس حتى صارت تشويشاً مزعجاً . وقد كان  
لورد كرومر يمتنى لو يتفق مع الأمير ولكن كان في طبيعة كل منهما وطبيعة الوقت  
ما يحول دون ذلك حتى انها تكلموا غير مرة في أمر الوفاق وبعد التواطؤ بزمان  
قصير أو طويل كان يعود التدابر كما كان أو أشد حتى قيل ان اللورد عزم في آخر مدته  
على اقناع دولته بوجوب عزل الأمير ولكن جاء هذا الرأي في عهد وزارة الأحرار  
الحاضرة وهي وزارة تميل الى التساهل في المستعمرات وما في معناها كمصر في عرفهم فلم  
يتم للورد ما يريد بل خرج هو من مصر وبقي أميرها فيها . ومما كان قد عزم عليه  
الرجوع الى كبار الامة في معرفة مطالبها الحقيقية لاناتها ما يمكن منها مع الاعراض عن الأمير  
ولا ننسى ما كان في آخر مدته من حملة الجرائد الانكليزية على الخديو  
لا سيما بعد أن نشر مكاتب الطان عن الأمير ذلك الحديث الشهير فطالع الأمير  
تلك الحملة عليه بحديث آخر عهد الى مستر ديسي الانكليزي بنشره في جريدة  
الديلي تلغراف الانكليزية أهم ما فيه الاشارة الى رغبته في الوفاق فكان ذلك مقدمة  
للسياسة الجديدة التي سنينها

وهناك مقدمة ثانية شرع فيها لورد كرومر وتكفل سر ألدن غورست بالمضي  
فيها وهي اختيار الاكفاء من المصريين للوظائف الكبرى وتحميلهم «مسئوليتها»  
وأول ما بدأ به الأول من ذلك جعل سعد باشا زغلول وزيرا للمعارف وأخيه أحمد  
فندي باشا وكيلاً للحقانية وآخر ما قرره الثاني جعل عبد الخالق ثروت باشا نائباً عمومياً

## ٢٨٠ السياسة الانكليزية الجديدة في مصر ( المزارج ٤ م ١١ )

وهناك مقدمة ثالثة جربها العميد الجديد فجأت كما يراد وهي اعتماد انكثرا على الامير في سياسة البلاد العامة وعدم الالتفات الى مطالب الأمة وجرائدها فالسياسة الجديدة للانكليز في هذه البلاد هي أن يلقوا تبعة سياستها وادارتها على غاربها فلا يحملوا منها شيئاً في مصر بل يحملوها الامير وحكومته ومجلس نواب الامة وما دونه من مجالس المديريات

ما هو مجلس نواب الامة ؟ هل هو مجلس الشورى ام الجمعية العمومية ؟ وما معنى تحميله تبعة وهو لا يتبع رأيه ؟ لا لست أعني بمجلس النواب ما ذكر وانما أعني ان الحكومة البريطانية عزمت على ان تمنح مصر ما يطلبه بلسان جرائدها واحزابها من الدستور والمجلس النيابي وأن تجعل الفضل في هذا للامير فهو يكشفها بذلك وهي تظهر له الموافقة على رغبته بكيفية مخصوصة والامير ينفذها رغائبها بمصر انا نعلم من مصدر رفيع ان الانكليز عزموا على ان يمنحوا مصر المجلس النيابي وأنه ليس للانكليز مقاصد في مصر تنافي السماح للمصريين بذلك بل يفتخر احرار انكلترا بذلك لموافقته لستهم في تحرير الشعوب وترقية الحكومات ويكتفون في الأمن على مصالحهم بمصر باستمرار الاحتلال والثقة بمودة أمير البلاد ولا يبالون بالجرائد والاحزاب بل يعتقدون أن ستسكن من نفسها وان خير علاج لها إهمالها هذا ما أرويه للقراء رواية لا يشوبها رأي ولا تخرص فما كان منه عن شيء مضى فهو مما يعرفه العارفون ، وما كان عن شيء يأتي فسيراها الناظرون ، وقد يقال من باب الرأي ان الانكليز مخططون في ظنهم ان الحركة الوطنية ستسكن من نفسها فإن وراء مجلس النواب الذي سيكون محدود السلطة كلاما كثيرا في سلطته ووراء ذلك مسألة الاحتلال نفسها . نعم ان معظم حماسة الجرائد يمكن ان تتحول الى نقد الوطنيين الذين يحملون تبعة الادارة وتكون الحجة على المحتلين ضعيفة بل ظهرت بوادر هذا في كلام اللواء في أول مصري عريق حمل تبعة العمل في الحكومة وهو سعد باشا زغلول فان اللواء أشد عليه منه على مستشاره مستر دنلوب . فمن مثل هذا قد استنبط الانكليزان السياسة الجديدة التي شرعوا فيها ستعقبهم راحة من ضوضاء مصر وتشغل المصريين بانفسهم والله أعلم بما تأتي به حوادث الأيام ( المكاشف )

## لقرآن والعلم

٢

﴿تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب﴾

في رد الشبهات التي يوردها الأفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

﴿المسألة الثالثة﴾

﴿ذو القرنين ومطلع الشمس ومغربها﴾

قال الله تعالى في قصة ذي القرنين (١٨: ٨٦) حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمة ووجد عندها قوماً إلى قوله (٩٠) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً

تقول العرب بلغ فلان مغرب الشمس أو وصل إلى المشرق إذا سار إلى أقصى ما عرف لهم من المسكونة في جهتي الشرق والغرب فكان الكلام على تقدير مضاف أي وصل فلان إلى أرض المغرب أو أرض المشرق ومعنى ذلك أنه وصل إلى آخر أرض تغيب عنها الشمس أو إلى أول أرض تشرق عليها بحسب علمهم وإلى الآن تقول جميع الأمم الراقية «بلغ فلان الشرق الأقصى أو المغرب الأقصى» إذا سافر إلى بلاد اليابان أو إلى بلاد مراكش ويسمون هذه البلاد بلاد الشرق أو المشرق وبلاد الغرب أو المغرب ولا يعنون بذلك سوى أنها أول بلاد من الدنيا القديمة تشرق عليها الشمس وآخر بلاد تغرب عنها فعنى قوله تعالى «حتى إذا بلغ مغرب الشمس» أنه وصل إلى آخر أرض معروفة للعرب تغيب عنها الشمس ويسمون المغرب ٠٠ ومهما كان الإنسان عالماً فإنه لا يتحاشى أمثال هذه التعابير المعهودة للبشر فكذلك القرآن الشريف

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي

(المنارج ٤) (٣٦) (المجلد الحادي عشر)



## ٢٨٢ ذوالقرنين ومطلع الشمس ومغربها ( المأرج ٤ م ١١ )

فانه جري عليها وكذلك كل كتاب ولو كان في الفلك أو الجغرافيا الحديثة « وجدها تغرب في عين حمة » أي خيل له أنها تغرب في العين كما يخيل ذلك لكل من وقف على ساحل البحر وقت الغروب فانه يرى الشمس كأنها تغيب في البحر ولذلك نسب القرآن الأمر إلى وجدان ذي القرنين فقال « وجدها » ولم يقل مثلاً « حتى إذا بلغ مغرب الشمس رآها وهي تغرب في العين » أو نحوه مما يفيد أنها تغرب فيها حقيقة

والعين كل ماء جار كما في قوله تعالى ( ٢٦ : ٥٧ ) فأخرجناهم من جنات وعيون ) أي أنهار جارية وكقوله في وصف الجنة ( ٨٨ : ١٢ ) فيها عين جارية ) وقوله « حمة » معناه ذات طين أسود وفي قراءة ( حامية ) أي ساخنة ولعل سخونة الماء ناشئة عن وجود ينبوع حار خارج من جوف الأرض بمجوارها وإذا كان المراد مياه المحيط فقد تكون سخوتها ناشئة عن التيارات المائية الآتية من خط الاستواء كما هو معروف للمطلعين على علم الجغرافية فإن المحيط الاطلانطي ينطبق عليه هذان الوصفان وهو كونه ذا طين أسود وكون بعض مياهه ساخنة فلعل ذا القرنين وصل إليه بسيره إلى نهاية أفريقية من جهة الغرب فان تيار الخليج ( Gulf Stream ) الآتي من ساحل أمريكا عند خط الاستواء ينقسم وهو ذاهب إلى الشمال إلى قسمين قسم يصعد إلى أوروبا وقسم ينزل إلى ساحل إفريقيا الغربي ولون مائه أسود وهو ساخن ( فان درجة حرارته لا تقل عن ٨٥ بمقياس فهرنهايت )

ثم قال « حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا » والمعنى أنه سار إلى أرض المشرق حتى وصل إلى أول أرض تطلع عليها الشمس أي بحسب ما تعرف العرب من المسكونة ولعل ذا القرنين وصل إلى جبل عال من جبال آسيا ظن أنه نهاية الأرض أو وصل إلى ساحل الهند الشرقي فظن أنه نهاية العالم فلما وصل إلى تلك الجهة التي تسميها العرب مطلع الشمس أو المشرق وجد الشمس أول ما تطلع تطلع على قوم عراة الأبدان ليس لهم من دون الشمس وقاية وهذا هو حال الأمم المتوحشة الساذجة

واعلم أن أمثال هذه السياحات أو الفتوحات الكبيرة معهودة في تواريخ القدماء

كالاكندر المقدوني وغيره وكان ييسر لهم ذلك لعظم قوتهم وضعف الامم المجاورة لهم وبساطتهم وقلة عددهم بالنسبة لهم فكان يسير الفاتح العظيم منهم بجيشه الجرار ولا يجد في كثير من الجهات أدنى مقاومة أو إذا وجد تكون في الغالب ضعيفة والغالب أن ذا القرنين هذا المذكور في القرآن هو أحد ملوك اليمن الحميريين فان العرب لا يعرفون ملوك غيرهم من الامم وما كانوا يسألون النبي عليه السلام عنها و (ذو) لفظة عربية محضة وردت كثيراً في ألقاب العرب أهل اليمن كذبي يزن وذبي كلاع وذبي نواس . وتقل عن ابن عباس أنه سئل عن ذي القرنين المذكور في القرآن فقال هو من حمير . وقال أحد شعراء الحميريين قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً علا في الأرض غير مفند بلغ المشارق والمغارب ينتهي أسباب ملك من كريم سيد وكل ذلك يؤيد ان العرب ماسألوا النبي إلا عن ذي القرنين هذا المعروف عندهم ونظرا لاندراس التاريخ القديم عموماً وخصوصاً تاريخ العرب الاقدمين ولعدم الثقة بأكثر ما جاء فيه من القصص ولعدم اهتمام الأمم المتأخرة بشأن أهل اليمن لم يشتهر أمر هذا الفاتح الكبير بين الأمم الأخرى والمظنون أنه كان على زمن الخليل إبراهيم عليه السلام قيل إن اسمه الصعب بن الرايش وقيل إنه أبو كرب شمس بن عير بن أفريقش . وكان ملوك اليمن يلبسون تاجاً له قرنان الغالب انهم اقتبسوه من ملوك مصر . وأول من لبسه اشتهر بينهم بلقب ذي القرنين من أجل ذلك وفي التاريخ القديم آثار كثيرة يدل على أن أهل اليمن كانوا قد بلغوا شأواً كبيراً من القوة والعظمة وأنهم تغلبوا على أقاصي البلاد وغزوا بابل وبلغوا الهند وفتحوا بلاد الفرس ويسمى غزو العرب لبلاد فارس في أحاديث الفرس « غزو ذوحاق » وكان ذلك قبل الميلاد بأكثر من ٢٠٠٠ سنة وقد أغار أهل اليمن أيضاً على بلاد المغرب وفتحوا مصر واستوطنوها ويسمون فيها بالهكسوس . فلا يبعد ان يكون ذو القرنين المذكور في القرآن هو أكبر ملوكهم الفاتحين وقد بلغ ملكه أو سببه أقصى ما كان معروفاً إذ ذاك من بلاد المشرق والمغرب

## ٢٨٤ ذوا القرنين ومطلع الشمس ومغربها (المناجج ٤ م ١١)

وقد بني سدأ بين جبلين في جهة الشمال لا يعرف الآن موضعه لمنع يأجوج ومأجوج من التعدي على الأمم المجاورة لهم وهما قبيلتان شيرتان من القبائل القديمة المتوحشة وقد ورد ذكرهما أيضاً في كتب أهل الكتاب (تلك ١٠ : ٢ وحز ٣٨ : ٢ و٣) وإذا علم الانسان ان أكثر بقاع الأرض لم تظأها أقدام أحد من السائحين الباحثين أو الجغرافيين وإذا تذكر ما عرض لهذا السد عن التغيرات الطارئة عليه من الصدا ومن هبوب الرياح ونزول الأمطار ورسوب التراب وغيره عليه بل ربما تغطي بأشياء كثيرة مما يحملها سيل المياه على الجبال إذا تذكر كل ذلك أدرك شيئاً من أسباب عدم عثور أحد على مثل هذا السد وربما إذا رآه أحد الآن لا يمكنه أن يميزه عن سائر الجبل فقد يكون منطى بطبقة حجرية مما أذابتها المياه وحملت إلى فجفت عليه

فإذا جاء يوم القيامة اندك هذا السد كما تدك جميع الجبال كما قال القرآن الشريف (١٨ : ٩٩ فإذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقاً)

هذا ومن تذكر إغارة المغول (التار) وهم نسل يأجوج ومأجوج في القرن السابع الهجري على بلاد المسلمين والنصارى وما أتوه من الفساد في الأرض وما أوقعوه بالأمم المختلفة من القتل السبي والنهب أمكنه تصور حصول هذا منهم مرة أخرى قبل مجيء الساعة كما قال القرآن الشريف (٢١ : ٩٦ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ٩٧ واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) ولا مانع من ان يكون ما حصل منهم سابقاً هو الذي أراده القرآن في هذه الآية ويكون قوله « واقترب الوعد الحق » كقوله (١٠٥٣ : ٩) اقتربت الساعة وانشق القمر) على ان الانشقاق حصل في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وهو تعبير معهود في الكتب المقدسة إذا أنبأت عن الحوادث المستقبلية



## ﴿ المسألة الرابعة ﴾

## ﴿ يحيى بن زكريا ﴾

قال الله تعالى (١٩ : ٧) يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً) يقولون ان يحيى هو يوحنا عند أهل الكتاب ويوحنا هذا اسم شهير عند اليهود سي به كثيرون قبل ابن زكريا فكيف يقول القرآن «لم نجعل له من قبل سمياً»؟؟  
ونقول لانسلم بان لفظ يحيى في القرآن هو تعريب لفظ يوحنا عندهم لان يحيى من الحياة ويكتب في العبرية هكذا (יחי) وينطق يحييه وأما (يوحنا) فهو الصيغة اليونانية للفظ (يوحنا) العبري ومعناه «يهوه حنون» أي الله حنون. فهو اذا من الحنان لان الحياة وعليه يكون لفظ يحيى غير يوحنا ووجود شخص مسمى باسمين كثير جدا وقد يكون الاسم الثاني لقباً له وأمثلة ذلك في كتب المهديين كثيرة جداً منها ان اسم بطرس سمعان واسم تداوس لبائوس وهما من تلاميذ المسيح (راجع متى ١٠ : ٣ و٢) وكان النبي عليه السلام يغير كثيراً من أسماء أصحابه فيشتهرون بما ساءم به رسول الله وعند جميع الأمم يوجد اشخاص لم اكن من اسم. هذا اذا لم قل ان تسمية ابن زكريا في المهد الجديد يوحنا هو من خطأ مؤلفي الانجيل باللغة اليونانية إذ يجوز انهم لم يحسنوا قل اسمه الحقيقي «يحييه» الى لقبهم

ويحتمل ان الاسم الذي بشر الله به زكريا هو (يحيى) ولما اشتهر عن يحيى الشقة والحنان بالناس كما قال القرآن في وصفه (١٩ : ١٣) وخانا من لدنا) صاروا لقبونه يوحنا حتى شاع بينهم ذلك اكثر من اسمه الاصل الذي سماه الله به

وهناك وجه آخر في تفسير عبارة القرآن الشريف . وهو ان زكريا طلب من الله وارثاً له من نسله خوفاً من مواليه فبشره الله بان سيكون له ولد وسيكون اسمه يحيى وقال له ان هذا الاسم لم يسم به أحد قبله أي بينهم في أهله وعشيرته كما قال إنجيل لوقا ١ : ٦١ قالوا لها - أي لأمه - ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الاسم»  
فهو الله تعالى «لم نجعل له من قبل سمياً» أي في أهل زكريا الذين كان الكلام

معه في شأنهم والخطاب له فيمن يرثه منهم. هذا إذا سلم أن لفظ بجي هو عين يوحنا وأنه تعريب له

على أنه قد يكون المراد بالسمي السمي الحقيقي أي أنه لم يسم أحد قبل يوحنا بهذا الاسم وكان مثله في صفاته العالية وأخلاقه الطاهرة فكل من سمي قبله به ما كانوا يستحقونه لأنهم لم يصلوا إلى درجته في الشقة والرحمة والحنان وقد ورد لفظ السمي في القرآن بهذا المعنى أيضاً في سورة مريم التي منها هذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها فقال تعالى «٦٥ رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً» أي سمياً حقيقياً وإلا فقد اتخذ آلهة أخرى من دون الله كثيرون

### المسئلة الخامسة

#### السامري والمجل

قال الله تعالى (٨٨: ٢٠) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا الْمَكَّمُ وَإِلَهُ مُوسَى — إلى قوله — ٩٥ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ٩٦ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي « رجحنا في ( مقالات الدين في نظر العقل الصحيح ) أن لفظ السامري علم لشخص من بني إسرائيل يسمى بلغتهم شمري وهو اسم مشهور عند قدمائهم . انظر مثلاً سفر أخبار الأيام الأولى ( ٤ : ٣٧ و ١١ : ٤٥ و ٢٦ : ١٠ ) ولما عرب هذا الاسم أبدلت الشين المعجمة بالسين المهملة كما هي العادة في تعريب العبري وأدخلوا عليه أل كما أدخلوها على غيره من الأعلام المعربة كلفظ ( الجودي ) وهو اسم جبل ولفظ ( السمؤال ) وهو علم لأحد نابغي شعراء اليهود من العرب . وتسمى زيادة أل في مثله زيادة لازمة كما يقول النحاة . وهو معرب من لفظ ( سموئيل ) والتغير الذي حدث فيه كالذي حدث في لفظ ( شمري ) فأبدلت الشين سيناً وزيدت عليه أل مع تغير طفيف في الكلمة . وهذه التغيرات شائعة في جميع اللغات في أسماء الأعلام المنقولة إليها فانظر الفرق بين لفظ مختصر وأصله .

(نبوخذناصر) ولفظ عيسى وأصله يشوع • وغير ذلك كثير جداً يعرفه المطلعون على بعض اللغات الأجنبية وما فيها التغير والتحريف في الأعلام • واعلم أن لفظ السامري الوارد في القرآن كانت تكتبه العرب (السمري) وكذلك كتب في مصاحف عثمان التي أرسلها إلى الآفاق • ولعل في ذلك إشارة إلى أصله العبري الذي ذكرناه هنا وإن كانوا ينطقونه السامري • وليست الياء فيه للنسبة بل هي كالياء في لفظ الجودي بالتشديد وأصله جوردي بدون تشديد

قال تعالى ( فأخرج لهم ) أي صنع لهم السامري ( عجلاً جسداً ) أي تمثال عجل ولكنه جسد بلا روح فان لفظ الجسد يطلق غالباً على الحي إذا مات أو ما كانت صورته صورة الحي ولكنه جماد كهذا العجل الذي صنعه السامري من الحلي وكتماثيل الحيوانات فانها كأجسادها بعد المات لا حياة فيها ( له خوار ) أي صوت يشبه صوت العجل ولعله توصل إلى ذلك بالصناعة مع الحيلة كأن يضع فيه ما يشبه المزمار ويسلط عليه آلة نافخة لا يشعر بها الناظرون

وأمثال هذه الحيل كثيرة يفعلها الدجالون في كل زمان ومكان

ثم قال تعالى ( قال فما خطبك يا سامري ) أي قال له موسى ما شأنك وما الذي حملك على ما فعلت ( قال بصرت بمالم يبصروا به ) أي علمت مالم يعلموا وأدركت مالم يدركوا ( قبضت قبضة من أثر الرسول ) أي أخذت بشيء من تعاليم هارون الذي استخلفه فبناواقتفيت أثره فيها فلم يرق لي شيء منها • وسمى هارون بالرسول لأنه هو وموسى كانا يسميان كذلك بين بني إسرائيل فان الله قال لما ( ٢٠ : ٧ ) فقولا إنا رسولا ربك ) وعدم اعتقاد السامري بصحة هذه الرسالة لا ينافي أن يقول ذلك من باب التهم كما كانت قریش تهكمون على رسول الله ويقولون له ( ٧ : ٢٥ ) ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ) ثم قال السامري ( فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي ) أي فرفضت ما أخذته من تعاليم هارون بعد تجربتي له وهذا ما مالت إليه نفسي التي علمت مالم يعلم غيري • هذا هو التفسير الصحيح الذي يتبادر من هذه الآيات ولا يمكن لأي عربي أن يفهم منها سواه لولا ما حشاه به أكثر



المفسرين من الخرافات وهو يقارب ما ذهب إليه محقق المفسرين أبو مسلم الاصفهاني وارتضاه منه فخر الدين الرازي وعمره

(٩٧ قال) له موسى (فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعد أن تُخلفه وانظر إلى إهلك الذي ظلمت عليه كفاً لنحرقه) أي لبردنه ويؤيده قراءة « لنحرقه » بفتح النون وكسر الراء وضبطها خفيفة (ثم لننسفه في اليم نسفاً)

فان قال قائل ما بالقرآن في الكلام على هذا العجل يأتي بما يحتمل أنه كان حياً وإن كان ذلك بعيداً من عبارته ؟ قلت جرت عادة القرآن في أمثال هذه المسائل العرضية البسيطة أن يأتي بالتعبير الذي لا يصادم اعتقاد الجمهور مصادمة لا تقبل التأويل حتي لا يكون ذلك صادراً لهم عن النظر فيه أو شاغلاً لهم عن البحث فيما أتى به من جوهر الدين كما هي طريقة الحكماء . فالظاهر أن أهل الكتاب من العرب كانوا يعتقدون أن هذا العجل صار حياً وربما كان عندهم من رواياتهم واحاديثهم ما يحملهم على هذا الاعتقاد فلم يرد القرآن ان يشتغل معهم بأمثال هذه التافهات فأتى لهم بما لو سمعوه قبلوه وما لو سمعه العلماء المحققون لأدركوه وفهموه ولذلك تراء مثلاً ينص على دوران الأرض بقوله (سنة ٢٧ : ٨٨ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) في سياق يحتمل أن يكون ذلك مما يحصل يوم القيامة وإن كان ظاهر الآية يبعد عن هذا الاحتمال الذي لا يزال مقبولاً عند الجهلاء . حلى أن معنى الآية الصحيح لا يخفى على العلماء . فان القرآن قد أتى للعامة والخاصة والمنحطين والمرقطين فلذا تنوعت أساليبه وسحر بيانه عقول الجميع وبذلك لم يخطئ الغرض ولم يشتغل عن الجوهر بالعرض

### مسألة السادسة

#### (تكوّن الجنين)

قال الله تعالى (٢٣ : ١٢) ولقد خلقنا الانسان من سُلالةٍ من طين ١٣ ثم جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين ١٤ ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا

المُضَنَّفَةُ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ١٦ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (اشتملت هذه الآيات على جميع أطوار الإنسان في حياته وما يمر به من التغيرات من أول وجوده إلى يوم بعثه

(الطور الأول) « وقد خلقنا الإنسان من سلاية من طين » أول الأحياء في هذا العالم لا شك في أنه خلق من مادة الأرض مباشرة ثم ارتقت الحال بعد ذلك فصارت الأحياء تتكاثر بأنقسام الخلايا ثم بالتلقيح الذي يعقبه الانقسام (ومعنى التلقيح اختلاط عنصر الذكر بعنصر الأنثى) فإن الإنسان في طوره الأول كان طينا وإذا نظرنا إلى الإنسان من جهة أخرى وجدنا أن الحيوانات المنوية والبويضات التي يخلق منها الإنسان مخلوقة من الدم والدم من الغذاء والغذاء من الحيوان والنبات وكلاهما من الأرض أي الطين

(الطور الثاني) « ثم جئناه نطفة في قرار مكين » النطفة الإفراز تطلق على المني ولا مانع من إطلاقها أيضاً على بويضات المرأة التي يفرزها المبيضان (١) ولم يذكر القرآن بويضات المرأة صريحاً لأن ذلك غير معروف لجاهل الناس وهو لم يأت لتعليمهم أمثال هذه الأشياء وإنما هو يؤيد قضايها بما يعرفونه ولا ينكرونه واكتفاؤه بذكر المني دون غيره في أكثر المواضع لا يدل على أن الإنسان لا يخلق من شيء آخر معه إذ ليس في عباراته ما يدل على الحصر فالطور الثاني طور النطفة وهي من الرجل ما فيه الحيوانات المنوية ومن الأنثى ما فيه البويضات فإذا حصل التلقيح بدخول رأس الحيوان المنوي في البويضة استقرت في الرحم والمراد بالقرار المكين أعضاء الأنثى الداخلة (البوقان والرحم) وهي التي يحصل فيها التلقيح ثم التكوين ولا شك أن حيوان الذكر وبويضة الأنثى يسبحان قبل التلقيح وبعده في قليل

(١) المنار: النطفة في الأصل الماء أو كل سائل فيصنع إطلاقه على ماء الرجل

الذي فيه الحيوانات المنوية وعلى ماء الأنثى الذي فيه البويضات إذ كل منهما سائل

من سائل مخصوص ومجموع ذلك هو النطفة وهي التي تستقر في الرحم  
(الطور الثالث) « ثم خلقنا النطفة علقه » وذلك بانقسام البويضة بعد  
التلقيح بالحيوان المنوي إلى أقسام كثيرة تكون كتلة صغيرة تشبه العلقه وخلاياها  
كلها متشابهة

(الطور الرابع) « فخلقنا العلقه مضغه » وهي قطعة أكبر من العلقه قدر  
ما يمتنع في الفم مركبة من عدة خلايا ناشئة من انقسام البويضة الأصلية بعد تفذيتها  
في جدر الرحم وما أحيطت به من سوائل زلالية

(الطور الخامس) « فخلقنا المضغه عظاماً » أي حولنا بعض خلايا المضغه  
التي كانت كلها متشابهة إلى خلايا أخرى تصير بالتدريج بعد هذا التوزيع عظاماً  
(الطور السادس) « فكسونا العظام لحماً » أي حولنا الجزء الباقي من المضغه  
إلى أنسجة رخوة ذات خلايا مغايرة في شكلها للخلايا الأصلية وهذه الأنسجة  
تكون كاسية للخلايا الآخذة في التحول إلى عظام فينما تجد بعض الخلايا يتحول إلى  
عظام تجد البعض الآخر يتحول إلى لحم وشحم وغيره يكسو هذه العظام

(الطور السابع) « ثم أنشأناه خلقاً آخر » أي بعد تمام خلقته وولادته يصير  
بالتدريج إنساناً عاقلاً مدركاً مفكراً بعد أن كان لا يعلم شيئاً كما قال تعالى (والله  
أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار  
والأفئدة) الآية فالشيء الذي كنت تراه لا يدرك وجود نفسه يصبح محيطاً  
بالكون بعقله ويخترق الحجب بفكره « فتبارك الله أحسن الخالقين » . وعبرنا  
بم لتراخي ذلك عن زمن تمام التكوين

(الطور الثامن والتاسع) « ثم إنكم بعد ذلك لميتون » ثم إنكم يوم القيامة  
تبعثون » فهذه هي الأطوار الانسانية التي تستفاد من هذه الآيات الشريفة  
ويجب الاعتراف هنا بأن هذه الآيات لم تصف هذه الأطوار بالتفصيل  
كما يصفها الفسيولوجيون وإنما وصفها بأجمال خال من الوهم والخطأ داع إلى التفكير  
في قدرة الله والتدبر في أعماله وهو ما يريده القرآن الشريف ولا يريد تدريس  
علم تكون الجنين للناس ولا غيره من العلوم الدنيوية فلذا لا ينتظر من مثل هذا



## (المنار ج ٤ م ١١) ميراث بني إسرائيل الأرض ٢٩١

الكتاب العزيز ان يدخل فيما ليس من غرضه الاطئاب فيه لأن الناس يصلون  
إليه من غير طريق الوحي

## ﴿المسألة السابعة﴾

﴿ ميراث بني إسرائيل الأرض من بعد فرعون ﴾

قال الله تعالى (٥٧:٢٦) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٨ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ٥٩ كَذَلِكَ ، وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ) ومن المعلوم أن بني إسرائيل من بعد غرق فرعون وقومه لم يرثوا أرض مصر بل خرجوا منها فما معنى هذه الآية إذا ؟؟ ذهب محققو المؤرخين إلى أن فرعون موسى هو منفتح بن رمسيس الثاني وقد خضعت بلاد الشام لمصر في عهد رمسيس الثاني وكان من عادته ان يقي فرقة من العساكر المصرية في البلاد التي يفتحها ليستوطنوها ولينشروا فيها عاداتهم واخلاقهم فكانت بلاد الشام مستعمرة تابعة لمصر ومحتلة بجزء من جيشها وكان المصريون يحنون من خيراتها ويتمتعون بها وبعضهم يذهب اليها ليقم فيها تحت رعاية دولته كما يفعل الاوريون الآن في الممالك التي يستعمرونها ودام الحال كذلك الى عهد منفتح بن رمسيس هذا وفي عهده كان خروج بني إسرائيل من أرض مصر

إذا علمت ذلك فاسمع تفسير ما قال الله في القرآن الشريف ( فأرسل فرعون في المدائن ) التابعة له كبلاد مصر والشام ( حاشرين ) يجمعون إليه جيشه وقومه المستوطن في هذه البلاد قائلًا لهم ( ان هؤلاء لشرذمة قليلون . وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميعٌ حذرون ) ثم قال الله تعالى ( فأخرجناهم ) أي المصريين ( من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ) في مصر والشام ( كذلك وأورثناها بني إسرائيل ) أي أورثناهم ما كان يتمتع به المصريون من جنات الشام وعيونها وكنوزها ومقامها الكريم فان ذلك قد آل إلى بني إسرائيل ولذلك قال تعالى في آية أخرى في هذا الموضوع ( ١٣٧: ٧ ) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ

الأرض ومغاربها التي بارَكنا فيها وَوَمَت كلمة رَبِّكَ الحسني على نبي اسرائيل ( والأرض التي بارَك الله فيها هي أرض الشام كما جاء في آيات أخرى كثيرة في القرآن الشريف كقوله ( ٢١ : ٧١ ) وَنَجِّنَاهُ وَلَوْطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا الْعَالَمِينَ ) وقوله ( ١٧ : ١ ) سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ) فَأنت ترى من هذا أن آيات القرآن في هذا الموضوع يفسر بعضها بعضاً وأن المراد من ميراث نبي اسرائيل لما تركه المصريون هو ما كان لهم ببلاد الشام

(المسائل بقية)

## باب المناظرة والمراسلة

٣

### حجج تامة بحث النسخ

قال حضرة الدكتور: وإذا قشنا الأحاديث — الى ان قال — فالقرآن لا يجوز ان ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة وبه قال الامام الشافعي رحمه الله وليس فيه منسوخ مطلقا كما قال أئمة بعض المفسرين كأبي مسلم الاصفهاني وكما دل على ذلك الاستقراء والدليل واتي بكلام ثم قال: « والذي نرامن ان العقل لا يستبقي وقوع النسخ في القرآن الشريف اذا كان القرآن يبين لنا نصا جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ او ان الرسول ( ص ) يبين ذلك بيانا يتقل متواترا ويتفق عليه عملا بين المسلمين الخ والمناظر يرى باديء بدء بعد المقارنة بين كلام حضرة الدكتور ان قوله والذي نراه نحن الخ هو رجوع منه ونسخ لقوله فالقرآن لا يجوز ان ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة، لانه اذا كان النسخ هو كما ذكر ابطال حكم الى بدل او لغير بدل وجاز ان يقبل قول الرسول ( ص ) هذه الآية منسوخة لا الى بدل مثلا في حق من علم صدور ذلك القول منه ( ص ) فما ذلك الا قول مجاوز نسخ القرآن بالسنة وهو

مناقض لقوله لا يجوز نسخ القرآن بالسنة فقوله الثاني لا محالة رجوع عن قوله الاول واعتراف بان القرآن ينسخ بالسنة المعلوم صدورها عن رسول الله (ص) وبذلك نكتفي عن الرد عليه في قوله بعدم جواز نسخ القرآن بالسنة وسيأتي لنا كلام على الاخبار التي يلزم الأخذ بها ويعلم صدورها عن رسول الله (ص) اما ما ذكره حضرة المذكور من اشتراط احد الامرين للنسخ إما تبين القرآن لنا نصا جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ او تبين الرسول (ص) كذلك وينقل متواترا الخ

فقول فيه ان حضرته ذكر ان النسخ لمقتضى لا يستقبح عقلا يعني انه جائز عقلا فهل ما اشترطه للنسخ واجب على الله وعلى رسوله (ص) عقلا فما هو؟ ام شرعاً - فإين هو؟ وهل يشترط ذلك فيما نسخ لفظه ومعناه لا الى بدل لان تعريف النسخ الذي ذكره اول الرسالة يشمل وليس هو داخل فيما انكر وقوعه من نسخ لفظ بلفظ او نسخ لفظ وإبقاء حكمه

وما معنى اشتراط التواتر فان النسخ انما كان يقع في زمان الرسول (ص) وقت نزول الوحي وذلك مضي واقضي والله تعالى ورسوله (ص) لم يلزموا الامة ولم يوجبوا عليهم ان يتقوا الدين الى من بعدهم بالتواتر ولم نر ذلك ولا في موضع من كلامهما ولم يجعل ذلك شرطاً لا للتبليغ ولا للقبول وسيأتي مزيد بيان لذلك

ان اشتراط حضرته ذلك مع اشتراطه ان يتفق عليه عملا بين المسلمين مما لا يجوز عقلا لا متاع تأخر ما يلزم في وجود شيء عن وجوده كاسبابه وشروط وجوده والنسخ قد وقع بدليل قوله تعالى « ما ننسخ من آية » الآية والتواتر واتفاق عمل المسلمين انما هو بعد ذلك والله تعالى لم ينصب ذلك شرطاً لقبولنا ذلك او ان الحال لا ينكشف لنا الا باحدهما فظهر ان ذلك لا يصلح لان يكون سببا للنسخ ولا لبوغه اليان -

اما اشتراط حضرته في رسالته لبيان النسخ طريقة معينة مخصوصة وهي ان يقول الله تعالى او رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ناسخة وهذه منسوخة فهو التزام لما لا يلزم واكتفاء بما لا يكفي ولا يطرد في جميع المسائل فان النسخ مشترك لفظاً بصدق على معاني مختلفة وصدقه عليها مختلف فيه ثم هو في افراد كل واحد



من مصادقاته قد يكون عاما . ثم معرفة المراد منه قد يكون مجملا فاذا قيل هذه الآية منسوخة او هذه ناسخة فقط ولم يقرن ذلك بما يعين المراد احتمل ذلك نسخ كل هذه الآية او بعضها او زيادة امر في النسخ مع بقاء المزيد او رفع شرط أو قيد او زيادتهما الى غير ذلك فتبين ان مجرد قوله هذه الآية ناسخة وهذه منسوخة لا يكفي في بيان المراد الا بانضمام ما يبين المراد مع ذلك مما يتبين به مورد النسخ المعين واذا كان الله أجاز النسخ في شرعه بجميع معانيه كما دل عليه كلام السلف او بعضها كما هو قول المتأخرين ففي الموارد المخصوصة أي ووقت البيان لا يجوز ان يؤتى بما لا يتبين المراد منه الا مع مئين - والبيان اخراج الشيء من حيز الإشكال الى حيز التجلي فظهر بذلك ان معرفة النسخ والمنسوخ لا يتوقف على خصوص ما ذكره حضرة الدكتور بل معرفته في كل محل بما يبين المراد هو الاولى وان لم يكن بلفظ ناسخ او منسوخ ومن ذلك ما ذكره العلماء في معرفة الطريق الذي يكون النسخ بها ناسخا والمنسوخ منسوخا

وليت شعري ألا يكفي في الدلالة على النسخ تأخر التاريخ مع التعارض والتناقض بين الحكمين ككون الشيء في آية حلالا وفي آية بعدها متأخرة نزولا حراما والعكس؛ وقد ذكر علماء الاصول طرق معرفة النسخ والناسخ والمنسوخ وبينوا ذلك فارجع الى كتبهم ان شئت

ثم لا ندرى ما الموجب لطعن الطاعنين واستهزاء الهازئين بعد ثبوت جواز النسخ عقلا وشرعا ووضعا ووقوعه في الشرائع فعلا كما اعترف بذلك حضرة الدكتور فليتأمل حضرته في هذا الموضع وليعلم انه باذرا الى التهمك والتعريض بمخالفته الى استحقاقهم أشد العذاب قبل اوانه اذ لم يقم حجة على ما قال ولم يحط علما بما لديهم من الحجج لا سيما معاصريه اذ لا يمكننا إنكار اطلاعه على ماهو مسطور في زبر الأولين وان كنا نستبعد امكان اطلاعه على الكل تقول ذلك قياسا على انفسنا وكما قال ذلك الكبار وتقول أيضا اذا كان النسخ هو ما ذكرنا سابقا عن السلف (رض) وما ذكره حضرته وأنه يرى ان العقل لا يستقبله فلا محل للتشنيع على من قال بوقوعه في القرآن وعليه فالتقول بوقوع النسخ في القرآن او عدم وقوعه منحصر في الدليل القلي

وفي الاستقراء اي تتبع آيات القرآن فحاضرة الدكتور استدل على عدم وقوع النسخ في القرآن بقوله تعالى « لا مبدل لكلماته » حيث قال فلا يجوز ان يبدله الله بعد وعده بعدم تبديله اذ النكرة ( أي لفظ مبدل ) في سياق النفي تعم وأقول قد اختلف في ان المتكلم هل يدخل في عموم خطابه أم لا والحق انه لا يدخل إلا بقرينة وليس هنا قرينة تدل على ذلك بل القرينة تدل على عدم دخوله

فالآية المذكورة ليس هي عندنا مما تبدل على منع النسخ بمعناه السابق وانما تدل على صيانة القرآن عن انتحال المبطلين وعبث اعداء الدين وان الله لا يجعل لهم عليه سبيلاً وذلك نظير قوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وقوله « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ونقول أيضاً نفي الشيء فرع عن ثبوته ولا شك هنا ان المراد بنفي المبدل نفي جميع التبديل بجميع معانيه وأكثر معاني التبديل لا يجوز ان ينسب إلى الإله وعليه فلا يدخل في عموم المنفي كما خصص عموم قوله تعالى « ان الله على كل شيء قدير » بما سوى الواجب لاستحالة تعلق القدرة به — ويقرب من ذلك قوله تعالى « فلا يظهر على غيبه أحداً » فانه لولا الاستثناء لمن ذكره لوجب ان لا يطلع على غيبه أحد مطلقاً لكنه لا يجوز بحال ان يقال انه تعالى داخل في عموم المنفي

فتبين بما ذكرناه ان التبديل المنفي في قوله تعالى لا مبدل لكلماته انما هو التبديل الذي يكون من البشر كما كان يفعله اليهود والنصارى في كتابهم اما التبديل بمعنى النسخ بان يبدل الله آية مكان آية أو ينسخ حكمها هو أو رسوله لا من تلقاء نفسه فهذا لا عيب فيه كما ذكر الدكتور والرسول ( ص ) معصوم عن التبديل من تلقاء نفسه وإذا كان النسخ هو ما ذكرناه عن السلف فإنكار وقوعه مكابرة ومخالفة لما هو ثابت في الواقع كما دل على ذلك الاستقراء إذ ما من عامٍ إلا وقد خص وما من مطلقٍ إلا وقد قيد إلا آيات التوحيد وما ضاهاها وأيضاً قوله تعالى « وإذا بدلنا آية مكان آية » خاصة في معنى من معاني التبديل ومحله المين والفاعل معلوم فهي بلا ريب نص في جواز النسخ الذي لا عيب فيه عقلاً

أما قول حضرة الدكتور فما ذكرناه هنا وهناك يدل على أن تفسير الآية هكذا: وإذا اتينا بحكم في الشريعة الإسلامية بدل حكم في الشرائع السابقة ووضعناه مكانه قالوا إنما أنت مقتر كذاب تخلق الأحكام وتنسبها إلى الله إلى آخر الآيات - وزعم أن القول بأنه مقتر في قوله تعالى « وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مقتر » إنما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة الخ وأقول إن قوله إنما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة هو اعتراف منه بجواز أن تكون هذه الآية مدنية فاحفظه

ثم إن ما ذكرته حضرة وحمل الآية عليه غير صحيح لما قدمناه ولأن سياق الآية لا يدل عليه وإنما يدل على خلافه فإنه تعالى إنما ذكر المشركين ثم حكى هذا القول عنهم ورد عليهم بأن أكثرهم لا يعلمون لأنهم ليس معهم كتاب والمشركون هم الذين زعموا أن الفلام النصراني يعلم النبي (ص) اقترأ وكذبا كما كذبهم الله في هذه الآية وغيرها ويدل على ذلك أيضا أن الله لما برأ رسوله (ص) من تهمة الكاذبة ذكر أن سبب تهجمهم واقدامهم على ما هو واضح البطلان إنما هو ضلالهم وعدم إيمانهم بآياته فإنه تعالى لا يهديهم وأكد في الرد عليهم بأن المقتر في تبديل آيات الله إنما يكون من لا يؤمن بها وهذا نص أيضا في إرادة المشركين فظهر أن القائل بأنه مقتر إنما هم المشركون ولأن الآيات قبلها وبعدها إنما هي في ذكر مساوي المشركين وتحذير المؤمنين من التخلق باخلاقهم والافتداء بعبادتهم وعن الاصفاء والاتفات إلى شبهاتهم عند نزول ناسخ أو تبديل آية مكان آية لأنهم لا يؤمنون بآيات الله فلم يهدم للصواب في الجدل فهم يستدلون على كذب الرسول صلى الله عليه وسلم بما يرون في كتابه من النسخ لا اعتقادهم أن ذلك تناقض لعدم علمهم بما في ذلك من الحكم والمصالح

أما أهل الكتاب (اليهود) فلم يأت لهم ذكر حتى يعود الضمير إليهم وأيضا فإن الله تعالى قد عيّن هؤلاء القائلين بأنهم الذين لا يؤمنون بآياته وهذا لا يصح صدقه على اليهود إذا كان المراد بالآيات الأحكام والآية الواحدة الحكم لا بآياتهم بالتوراة وإن أريد بالآيات الجمل من الكلام المحدودة المخصوصة فإن أطلقت



على عبارات التوراة فكذلك وان لم تطلق بطل حمل الآية المبداء على شيء من عبارات التوراة فثبت بذلك ان المراد واذا بدلنا آية من القرآن مكان آية منه قال المشركون انما انت مقتروهم لا علم لهم بالتوراة ولا باحكامها

ثم قول لو كان التبديل اي النسخ ممنوعا في القرآن مطلقا وان الله لا يبدل آية مكان آية لما صح تنقيده في جواب الكفار حين قالوا لرسول الله (ص) «انت بقرآن غير هذا او بدله» حيث امر رسول الله (ص) ان يجيبهم بقوله «قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي» فانه لا معنى للتقيد حينئذ وبذلك وهذا تبين عدم دخول المتكلم وهو الله تعالى في عموم لفظ «مبدل» من قوله «لا مبدل لكلماته»

ان من تتبع آيات الكتاب وجد فيه ما يلجته الى القول بوقوع النسخ فيه فعلا كما اخبر الله بوقوعه فيه مستدلا على جواز ذلك وحسنه بارتباط الشرع بالقدراي تلازمها — لا ينكر ذلك إلا من كابر وجدانه وخالف ظاهر القرآن وخرج به عن حدود مرامه الذي فهمه رسوله (ص) وبينه لأصحابه (رض) الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل والتفسير والمراد من الخطاب لمعانيهم الوقائع والأسباب فلا يجوز لمن لم يحضر الوقائع ولم يعرف الأسباب والموانع ولم يمارس محاورات أهل الشرائع ان يهجم على كلامهم (فضلاً عن كلام الله) ويؤوله بان يجعله على معاني يفترضها مع ترك ما سبق الكلام فيه وله . انما يختار هذه الطريقة المحرفون الخواصون كالقراطة والملاحدين من المتصوفة وسائر الطوائف المتباعدة الذين اذا تكلموا في القرآن يترأى للناظر في كلامهم انهم كأنما يتكلمون في دين جديد نزل عليهم ابتداءً وكأنه لم يكن نزل على رسول قد بين حدوده وأوضح احكامه وفسر مرامه وكأنه لم تتلقه أمة ولم تعمل به الطوائف حتى جاء هؤلاء بأرائهم السخيفة وأقوالهم الساقطة الضعيفة — كل ذلك لم يقع من هؤلاء الا بتركهم السنن النبوية وهجرهم لطريق السلف وبالاخص آثار الصحابة (رض) ولنعدي إلى ما كنا بصددہ فنقول

قد تقدم لنا ان قوله تعالى « واذا بدلنا آية مكان آية » دليل واضح على جواز النسخ في القرآن كما انه جائز في سائر الأديان وانه لا تعارض بين هذه الآية وقوله تعالى « لا تبدل لكلماته » الآية

ومن الأدلة الناصة على جواز النسخ في القرآن بل على وقوعه قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » الآية وقد قدمنا كلام السلف في تفسير هذه الآية نقلاً عن تفسير ابن كثير رحمه الله

ودونك ما ذكره حضرة الدكتور في تفسيرها فإنه قال في رسالة له سابقة أدرجت في الجزء الثاني من المجلد التاسع من المنار الأغر بعد ان ذكر قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » ما نصه « الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى ما ننسخ من آية تقيمها دليلاً على نبوة نبي من الأنبياء أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فأتينا بالثامن القدرة الكاملة والتصرف في الملك تأتي بخير منها في قوة الاقتناع واثبات النبوة أو مثلها في ذلك » —

ونحن ندعو القراء الكرام إلى المقارنة بين ما نقل عن السلف في تفسير هذه الآية وما قاله حضرة الدكتور فإذا كان لفظ آية يدل بالاشتراك اللفظي على معاني متعددة فهل يجوز لأحد كائناً من كان ترك المأثور عن العارفين بالمراد واختراع معنى آخر من عند نفسه بعد أكثر من ثلاث عشرة مائة سنة ؟ وهل هذا التفسير بالرأي في مقابلة المأثور الذي توافرت الأدلة الشرعية على منعه والتحذير منه كما دل العقل على قبح تفسير كلام أحد على غير مراده —

ونقول أيضاً اذا كانت الآية هنا هي ( المعجزة ) كما يقول حضرة الدكتور فما معنى ازالتها وترك تأييد نبي آخر بها ؟ فان المعجزات انما هي امور خارقة للعادة يظهرها الله على ايدي انبيائه لتدل على صدق دعواهم وقد انقضت بانقضاء الزمن المشروط لوجودها وليست هي جارية على سنن الكون المعتادة حتى تبقى ككل باق يرى تابها وخاضعاً لاسبابه ونواميس جريه في بقائه وتطوراته وأكثر المعجزات اعراض لا قيام لها بنفسها وانما هي واقعات تنقلها الامم كسائر الاخبار

انه لا يمكن تأييد نبي بمعجزة هي نفس معجزة نبي آخر والممكن انما هو ان يؤيد بمثلها لأنها ان كانت معجزة النبي الاول موجودة بين ايدي الناس فكونها معجزة الثاني ممتنع ولا فني ذلك الى تحصيل الحاصل وان كانت قد فقدت فالأخرى انما هي مثلها والنسخ او الازالة او الترك لا يكون الا لما يجوز ان يظهر اولما هو موجود فاذا امتنع عقلا ان تكون نفس معجزة نبي متقدم هي نفس معجزة نبي متأخر لم يبق في تفسير الآية الا ان يقال هكذا : ما ننسخ من آية اي من مثل آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها. ومؤداه ما ترك مثل معجزة الانات بمثلها. اليس هذا تناقضا يجب ان يتره القرآن عنه ؟ وتقول ايضا انه لو سلم جواز وقوع النسخ في المعجزات فانه لا يتصور وقوعه الا في القرآن حين امكان النسخ أي وقت نزول القرآن وقبل وفاة رسول الله (ص) فثبت الاستدلال بهذه الآية على جواز النسخ ووقوعه في القرآن حتى على تفسير حضرة الدكتور للآية بمعنى المعجزة فان القرآن من اعظم معجزات نبينا (ص)

وتقول ايضا ما ذكرناه عن السلف هو المتعين ويلزم الاخذ به لان هذا الدين انما جاءنا بتوسطهم فلا يجوز لنا ان نخرج عن جميع اقوالهم الا بحجة واضحة ومن المحال ان لا يوجد لاحد منهم قول موافق لها -

وايضاً لو كان هذا الكتاب نزل علينا ابتداء ولم يبينه مبين لنا لما جاز لنا ان نستبد بعقولنا في مواطن الاشتباه وعدم وجود مرجح ومن هنا قالوا لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة

وفوق ذلك كله أن هذه الآية ذكرت في ذيل خطاب الله لعباده المؤمنين تسكيناً لم ودفعاً للشبه التي يثنها ينهم اهل الكتاب والمشركون من قولهم ان محمداً يأمر بالشيء ويمنع غداً الى غير ذلك من تشكيكاتهم الكاذبة فرد الله عليهم وأعلم عباده المؤمنين بالحكمة في ذلك ونبيههم على ان هذا انما هو حسد من أعدائهم ودونك الآية وما قبلها يبين لك ان ما ذكرناه عن السلف هو المطابق لظاهر سياق الآية بعد ما عرفناك فساد تفسير حضرة الدكتور قال الله تعالى (٢ : ١٠٤) يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم



١٠٥ ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ١٠٦ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ( فالآية دلت على أن الذين كفروا يكرهون نزول الخير على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما كان النسخ انما هو زيادة خير وفضل من الله كنسخ بعض الاحكام الشاقة التي كلف بها بني اسرائيل وكنسخ ما فيه خير مما نزل على محمد (ص) الى ما هو أكثر خيراً منه ذكره تبارك وتعالى كإفراج من قوله «والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم» وأتبع الآية بقوله «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير» استدلالاً لصحة النسخ لانه اذا كان من المقرر لديك ومن المسلم لدى أعدائك ان الله تعالى هو خالق الخلق واستعدادهم المختلف باختلاف الزمان والمكان فمن اللازم لذلك اذا وجد مقتضي نسخ بعض الاحكام والتعاليم الأهلية إلى ما هو انسب باحوال المكلفين وأكثر خيراً لهم وهذا ظاهر في تلازم الخلق والأمر — وقوله تعالى عقب ذلك ( ١٠٧ ) ألم تعلم ان الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ) هو زيادة لا يوضح الحجة معناه انه اذا كان هو الخالق للاشياء فهو يعلم المناسب والاصحح بها واذا كان هو الولي والملك فلا بد لكل ملك من احكام فاذا كان الملك ذا حكمة وعدل مختبراً أحوال الرعية فلا يليق بعله ترك ما فيه زيادة الخير والأنسب باحوالهم لما هو أحاط منه مع علمه بذلك

اما قول حضرة الدكتور في رسالته السابقة بعد قوله تعالى ( أو ننسها ) : ننسها الناس لطول العهد بها ( يعني المعجزة ) الى آخره — فيقال عليه ان الضمير في ننسها عائد على الآية وقد قدمنا فساد تفسيرها بالمعجزة لأننا نقول ان الله قد وعد في هذه الآية بانه اذا نسخ آية أو انسأها فهو لا محالة يأتي بخير منها أو مثلاً وعداً لازماً لتلازم الشرط والجزاء — فاذا أبى الدكتور تفسير الآية الا بالمعجزة فهل أتى الله بخير من كل معجزة انسيت أو أتى بمثل كل معجزة انسيت عن كل واحد من انبيائه ؟ وما معنى قوله تعالى ( سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله ) فهل كان يقرئه عدد معجزات الأنبياء قبله عليه وعليهم الصلاة والسلام

وأيضاً قد قرأ بعض القراء « ما ننسخ من آية أو ننسأها » بفتح النون وهمزة بعد السين ومعناه حينئذ نوخرها وحضرة الدكتور ذكر ان معنى ما ننسخ ما نترك وعليه يكون المعنى هكذا : ما ننسخ أي ما نترك من آية أي معجزة أو ننسأها أي نوخرها . وهو على ما فيه من الركاكزة ومخالفة ما ذكرناه عن السلف لا يعطي ما أراده ذكر حضرة الدكتور في رسالته السابقة بعض الآيات المنسوخة ورد بزعمه على من قال بنسخها حيث اني رأيته انما مال الى التأويلات الزائفة ومع ذلك هي لا تنتج مراده فلم أر للتطويل فائدة بالرد عليه لان ما ذكره بين البطلان بنفسه -

ويكفي في الجواب عليه عن ذلك كله حتى بعد تسليم تأويلاته ان يقال له بجواب مجمل : ان هذه الآيات التي زعمت انها ليست بمنسوخة كآية تقديم الصدقة قبل مناجاة الرسول ( ص ) وغير ذلك هل ترى انها محكمة بمعنى ان دلالتها حين نزولها وبعد نزول آيات التخفيف بعدها على السواء من كل وجه ؟ فان قلت نعم فطليك البيان بشرط عدم التأويل والخروج عن الظاهر لا تارى ان التأويل للمنسوخ على غير ظاهره وإبقاء النسخ على ظاهره هو القول بالنسخ عندنا لا فرق الا في اللفظ والعبارة وان قلت بتغير الدلالة ولو من بعض الوجوه فقد قلت بالنسخ صراحة وواقفتا وهو غاية ما تتمناه

لم يقع خلاف بين المسلمين في جواز النسخ ووقوعه من غير فرق بين كونه في الكتاب او السنة حتى قيل انه مما اتفق عليه اهل الملل - الا اليهود فقد منعه للتوراة وقالوا انه لا يجوز ان يرسل الله رسولا بنسخ شيء من التوراة قالوا ذلك وجوزوا لأجبارهم نسخ ما شاءوا من التوراة - والا ما يحكى عن ابي مسلم الاصفهاني انه قال لم يقع شيء من ذلك في القرآن وهذا مما يعد من اكبر غلطاته حتى قال الحافظ ابن كثير بعد ان حكى قوله وقوله هذا ضعيف مردود ومرذول وقال السيد صديق حسن خان ولعله تقلا عن الامام الشوكاني : واذا صح هذا عنه فهو دليل على انه جاهل لهذه الشريعة المحمدية جهلاً قطعياً واعجب من جهله بها حكاية من حكى عنه الخلاف في كتب الشريعة فانه انما يتعد بخلاف المجتهدين لا بخلاف من بلغ في الجهل الى هذه الغاية انتهى

ولم أر أحداً حكى قول الأصمهاني إلا وأتمى عليه بالوم . ونحن لا نرى في الطعن فائدة ( ١ ) لانا نعلم كثيراً انه مامن أحد غير انبياء الله ورسله الا ويؤخذ من قوله ويترك ومن تتبع الفطاط ولو من كبار الرجال وجدها في كل شيء من الأشياء وامر من الأمور ولا يبقى يديه شيء من الحق وذلك هو الحسبان المبين

## أنا علي بن الحسين

### كتاب الترية

ألف علماء اوربا كتباً كثيرة في فن الترية فلما كتب في ذلك الفيلسوف سبسر كان ما كتبه ناسخاً لطريقة من قبله ولكثير مما جاؤا به وقدوة جديدة لمن عاصره ولمن يجيء بعده فهو الذي بنى قوانين الترية على أسس المنفعة وبين خطأ الناس في تقديم الزينة على المنفعة كما جرى عليه المتوحشون من أقدم زمن يعرفه التاريخ . وكتابه في الترية أشهر من أن يذكر فينوه به وقد ترجمه بالعربية محمد

( ١ ) المنار: قد أحسن الكاتب في عدم اقراره لصديق حسن خان على طعنه هذا بأبي مسلم وابن هو من أبي مسلم بل ابن منه شيخه الشوكاني في فهم القرآن ؟ اتنا نجل الشوكاني ونعرف له فضله في علوم الحديث والآثار والفقه ولا نظن انه نبز أبا مسلم بالجهل ومحمد من صديق حسن اهتداه بكتب الشوكاني ومحاربه التقليد وان كان في عامة أحواله مقلداً للشوكاني ولكننا لا نرى طعنه هذا في أبي مسلم الا هفوة من هفوات الغرور . نعم ان لابي مسلم غلطات ولكن اي عالم كتب او الف أو ابدى علماً وفهما فسلم من الغلط والخطأ ؟ ألم ينكر هو والشوكاني على الأئمة المجتهدين وعلى من قبلهم من علماء السلف كثيراً من المسائل حتى بعض فروع مسألة النسخ ؟ ألم يحصر الشوكاني المنسوخ في بضع آيات ويخطئ المتقدمين في سائر ما عدوه منسوخاً ؟ فكيف يعد أبو مسلم من أجهل الناس بالشريعة ان وجد لهذه البضع الآيات معنى ينافي النسخ بالمعنى الخاص الذي ينفه ؟



## (الناشر ١١) مجموعة الخطب . بلاغات النساء ٣٠٣

افندي السباعي أحد محرري الجريدة وطبع في مطبعتها طبعاً حسناً على ورق جيد فبلغت صفحاته ١٤٣ وجعل ثمنه عشرون قرشاً وهو يطلب من إدارة الجريدة

### مجموعة الخطب

تمنى كثير من أهل العلم والأدب لو طبع الخطب التي تلقى في نادي دار العلوم وكاشفوا رئيس النادي (حفي بك ناصف) بأمنيتهم فوافقت رغبته ورغبتهم وقرر مجلس إدارة النادي طبع الخطب التي يكتبها أصحابها . وقد طبعت المجموعة الأولى فأوعت ثماني خطب في موضوع اللغة والتعريب والترجمة فبلغت زهاء مئة صفحة وجعل ثمن النسخة منها قرشان ونصف قرش وهي تطلب من النادي بشارع عبد العزيز (نمرة ٥)

### بلاغات النساء

كتاب لطيف من تأليف أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المحدث المؤرخ (المتوفى سنة ٢٨٠) أودعه ما رواه عن النساء من خطبهن وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام ففيه من الخطب خطب عائشة أم المؤمنين في فضائل أبيها ورثائه وخطبها السياسية بالبصرة وخطبها لما بلغها قتل عثمان وفيه خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لما منعها أبو بكر ميراثها وغير ذلك من خطب وكلام أمهات المؤمنين ونساء الصحابة رضي الله عنهن وعن أزواجهن وكلام غيرهن في السياسة والآداب والمدح والثناء ومن أحسن كلام كثيرات منهن مع معاوية في تخطيته بما كان منه . وفيه كثير من كلام النساء في الأزواج مدحاً وذماً ووصاياهن لبناتهن والتعير عن سائر أغراضهن ثراً ونظماً . وليته خلا من أخبار مواجهن وأحاديث رفهن ، إذاً لكان الكتاب ، جديراً بعناية الشبان والشواب ، لما فيه من روائع الآداب ،

طبع الكتاب أحمد افندي الألفي طبعاً حسن على ورق جيد وشرح في هوامشه

## ٣٠٤ مطالع البدور . تحفة المدارس . الحمامات المعدنية ( الماراج ١١ م٤ )

ما رآه خنيا من مفرداته حتي بعض كلم الرفث والمجون الذي كان اجدر بالخفاء منه بالظهور ، وقد بلغت صفحاته زهاء ٢٠٠ من قطع النار وجعل ثمن النسخة منه عشرة قروش صحيحة ويطلب من المكتبات المشهورة

### مطالع البدور في محاسن ربات الخدور

هو كتاب خاص بوصف محاسن النساء نظماً ونثراً جمع فيه واضعه محمد سليم بك ابو الخير الانسي ما اختاره ذوقه من كلام المتقدمين وما جادت به قريحته في ذلك ومثل هذا الوضع لا يحتاج الى من ينوه به ولا يرغب فيه . لذلك كتبنا عنه هذه الكلمات قبل مطالعة شيء منه وقد جعله جزئين لطيفين طبع أحدهما وشرع في طبع الآخر وتمهما عشرة قروش وثمانون الذي طبع وحده خمسة قروش ويطلب المكتبات المشهورة

### تحفة المجالس وزمة المجالس

كتاب لطيف في المحاضرات يعزى الى جلال الدين السيوطي جله حكايات وأخبار في فضل العقل والعلم وأخبار الأولين من الأنبياء والخلفاء والملوك والقضاة والمتلصصين والنساء والمشاق . طبعه الحاج محمد افندي دربال التونسي التاجر بسوق العطارين بالقاهرة وقد جعل ثمن النسخة منه خمسة قروش صاغ وهو مما يرجي رواجه لتوفر الرغبة في امثاله من كتب الفكاهات والمحاضرات عند جميع طبقات الناس ولرخص ثمنه

### الحمامات المعدنية

رسالة موضوعها التداوي بالحمامات المعدنية في القطر التونسي وضعها الطبيب بيورف بلغة أجنبية وتلقاه عنه بالمرية الشيخ محمد بن حسين يرم في عهد محمد بن حسين باي ونقلنا الى اللغة العربية ووضع لها مقدمة من عنده . وقد طبعها في هذه

## (المناج ١١م٤) الاسلام والرد على كرومر - تقرير السير ألدن غورست ٣٠٥

الايام طابع كتاب تحفة المجالس وقد جعل ثمن هذه الرسالة قرشين ونصف قرش فنحت القراء على مطالعتها لما فيها من الفوائد المتعلقة بالاستحمام بالمياه المعدنية ونخص بالذكر اهل تونس لما فيها من الكلام عن حماماتها بالتفصيل

### الاسلام - والرد على لورد كرومر

كتب أحد فضلاء المصريين مقالات دينية في الرد على لورد كرومر نشرها في جريدتي المؤيد واللواء بتوقيع « أبقراط » ثم جمعها وطبعها على حداثها فبلغت ٦٤ صفحة . منها مقالة في المقابلة بين الإسلام والنصرانية ومقالة في ( المرأة في الإسلام والنصرانية ) وسائر المقالات في الرق وتعدد الزوجات والطلاق والعبادات والجنة والنار والجهاد . ولعل هذه المقالات أحسن ما نشر في الجرائد ردا على كتاب لورد كرومر ( مصر الحديثة ) وثمان النسخة منها ثلاثة قروش

### تقرير السير ألدن غورست

كان الناس يتظرون هذا التقرير انتظار من يتوقع شيئا جديدا في أمر عظيم لما شاع وذاع ونشرته الجرائد في جميع البقاع من ان الانكليز غيروا سياستهم في ادارة هذه البلاد منذ استقالة لورد كرومر ارضاء للمصريين الذين اظهروا السخط من الادارة السابقة . وكان الكثير يظنون وهم لم يروا من السر ألدن غورست المعتمد الجديد عملا جديدا يخالف طريقة سلفه اللورد أنهم سيقروا في تقريره عن سنة ١٩٠٧ شيئا جديدا يستنبطون منه كنه السياسة الجديدة . وكانوا يظنون أن من فروع التغير في سياسة الوكالة البريطانية بمصر حرمان اصحاب المقطم من ترجمة التقرير السنوي بالعربية وطبعه واهدائه الى المشتركين في جريدتهم وبيع طائفة منه فلما جاء الموعد وظهر تقرير العميد الجديد بمصر بالانكليزية والعربية في وقت واحد كالعادة قالوا « ما أشبه الليلة بالبارحة » ورأوا صدق قول لورد كرومر « يذهب انكليزي ويحيى انكليزي » فقد نسج غورست على منوال كرومر ورمى عن قوسه قالوا إلا في مسألة الصلة الشخصية بالامير فان هذا يحاسبه بقدر ما كان ذلك يخاشنه



## ٣٠٦ كلمات لقاسم بك أمين ( المئارج ٤ م ١١ )

وصرح بعض الأحزاب بان هذه الحاشية تخشى ولا ترجى ويقول آخرون غير ذلك وسترينا مصداق أحد القولين حوادث الأيام، لاسيما بعد زيارة الأمير الملك الانكليز في هذا العام، ومهما قيل في هذا التقرير وما قبله من حيث السياسة فلا خلاف في ان هذه التقارير توارخ رسمية، لادارة البلاد المصرية والسودانية،

### كلمات لقاسم بك أمين

كان قاسم بك أمين الذي نعيناه الى القراء في منار الشهر الماضي يكتب بعض ما يسمح له من المعاني التي فيها عظة وحكمة وما يعين له من الآراء والخواطر او يراه من غريب المناظر . وقد أتى الى ادارة الجريدة ما كتبه من ذلك فطبعته وأطلقت عليه هذا الاسم «كلمات لقاسم بك أمين» فكان زهاء ستين صفحة مثل صفحات كتاب الاسلام والنصرانية وجعلت ثمنه عشرة قروش صحيحة تعظيما لقيمه المعنوية وانا نقل من فرائد تلك الكلمات أحسن نموذج للقراء وهو :

الحرية الحقيقية تحتل ابداء كل رأي ونشر كل مذهب وتروج كل فكر  
ان الذي يمدحك بما ليس فيك إنما هو مخاطب غيرك  
وب كلمة يتجرعها الحليم غشاقة ما هو شر منها  
اذا استشارك عدوك فأخلص له النصيحة لأنه باستشارتك قد خرج من عداوتك  
ودخل في مودتك

تعصب أهل الدين وغرور أهل العلم هما منشأ الخلاف الظاهر بين الدين والعلم وليس بصحيح ان يوجد بينهما خلاف حقيقي لا في الحال ولا في المستقبل مادام موضوع العلم هو معرفة الحقائق المؤسسة على الاستقراء فمما كثرت معارف الانسان لامتلاك كل فكره — بعد كل اكتشاف يتحققه العلم يبحث عن اكتشاف آخر وفي نهاية كل مسألة تظهر مسألة جديدة تطالبه بحلها . الآن وغدا يشغل عقل الانسان بالعالم أي بمعرفة الحوادث الثابتة ولا يمنعه ذلك من التفكير في المجهول الذي يحيط بها من كل طرف . هذا المجهول الذي كان ويكون بعد الذي لا قرار له ولا حد لا في الزمان ولا في المكان هو دائرة اختصاص الدين

## (النارج ٤ م ١١) شقاء المحبين — القطر المصري ٣٠٧

المقلد في إيمانه مقصر يحمل عقيدته كما تحمل الوردة في عروة الملابس ، والمنكر مجازف جاوز حد العقل والعلم ، وأبغض منهما من يخادع بدينه فيقول ان كان الله غير موجود ما خسرت أكثر من غيري وان كان موجودا رجحت مع الراجحين لذلك اومن به . هذا هو المحتال الذي لا يصابن أحد حتى الاله من نصبه أتس البرية انسان ضاع إيمانه يدس الموت بسمه في حياته فيفسد عليها لذتها وينقص عليها شهوتها وستنشر بعض آرائه في أهل عصره

## شقاء المحبين

قصة في جزئين من وضع اسكندر دوماس الفرنسي الشهير وترجمها بالعربية حنا افندي النحوري الشاب الدمشقي الذي نبغ في آداب هذه اللغة في سن الصبا نبوغا قلما قار به في مثله احد من المشهورين بالترجمة والكتابة في هذا العصر ولولا ان فاجأته المنية في نحو الثامنة والعشرين من سنه لرأينا من آثار قلمه ما يعد من آيات حياة العربية قلما رأيت ترجمة لاحد من الكتاب المعروفين كترجمة هذه القصة تكثر فيها فرائد اللغة التي هجرها الكتاب لقلة اطلاعهم وتزين بالامثال والاقباس والتضمين وحل المنظوم من كلام الشعراء الاولين المجيدين وتقل فيها الاغلاط الشائعة الآن طبع القصة ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في جزئين واهدى الينا نسخة منها وعهد الينا ان لا نكتب عنها شيئا الا بعد قراءتها قلنا لا بد لهذا من سبب فلما قرأنا صفحات منها علمنا انه عهد الينا بذلك لعلمه بأننا نعرف قيمة هذه الترجمة البليغة . وثمن الجزئين معاً عشرون قرشا وهي تطلب من طابعها

﴿ القطر المصري ﴾ مجلة سياسية أسبوعية تؤيد سياسة الحزب الوطني بمصر انشأها أحمد افندي حلمي اشهر محرري جريدة اللواء في عهد مؤسسها واذا كان من مروجي جريدة اللواء بقلمه كما هو معروف فلا غرو أن تروج مجلته وهي كبيرة الحجم قليلة الثمن اذ قيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشا في السنة

٣٠٨ مقام خديجة في نفسها وعند قومها (المنارج ٤ م ١١)

## الفصل الخامس (\*)

« مقام خديجة » عند قومها

ما كرم هذا المقام، واني بليغ لا تأخذه الحمية اذ ادعي لتصور هذه المنزلة،  
سيدة بطلتها الفخامة والشرف يتجليان، والجمال والكمال يتألقان،

ومزايا كالزهر قفلاً وطياً وكزهر السما بهاماً ونوراً

من شرف حسب، الى كرم محدد، الى سؤدد قليل، الى عز عشيرة،  
الى جمال ذات، الى كمال صفات، الى فضل حجب، الى طهارة نفس، ذلك  
ما كانت تزين به سيدتنا « خديجة » وذلك ما كانت تحمل به بين قومها في  
المكانة العالية والمقام الكريم

هذه المزايا ليست بالبدع من الاشياء، ولا نبأها بغريب من الانباء،  
بل هي معروفة في كثير من النسوة، ومع ذلك لم يكن لاسمهن نصيب  
بغير الخمول، قد طويت اعلامهن، ولم ينشر ذكركهن، ولم يسم في  
أقوامهن مقامهن، فكيف تسمى اسم « خديجة » وطأت منزلتها؟

انما كان لخديجة ذلك الشرف بشيء آخر غير مزاياها. ذلك الشيء  
هو ارتقاء مدارك قومها وسلامة أذواقهم وحسن انتظام مجتمعهم. وليس  
بكافي لتعالى امرىء ان يكون كاملاً بل بدمع ذلك من احاطة قومه  
علماً بفضائله ووجود ميل فيهم للفضائل والكمال ومن المشهور ان الحجاره

(٥) من سيرة السيدة خديجة



## (المترج ١١م٤) ارتفاع شأن بعض النساء في العرب ٣٠٩

الكرامة عند من لا يعرف مزيها لا قيمة لها وهي عند عارفها فوق القيم  
فالحق ان ارتفاع من يستحق الرفعة في قوم ليس دليلاً على فضله وسعادة  
جده وحده بل هو دليل ايضاً على فضل اولئك القوم وسعادة جدم ،  
فقد ربح قوم كان للافضل منزلة كريمة لديهم ، وخسر قوم لا يعلو بينهم  
الا من استعان بجيش من الحيل والخداع ، وحواشٍ من النقائص المتعلبة  
على الطباع ،

واذا كنا معجبين بالسيدة « خديجة » لو فرة مزاياها الشريفة فنحن  
بقومها الذين شرفوا هذه المزايا أشد إعجاباً . وليست « خديجة » وحدها  
هي التي نالت مقاماً كريماً في قريش بل كثير من فضليات نسايتهم نلن المقام  
الكريم فيهم وكان لكثير منهن آثار مشكورة في مساعدة الاسلام الذي  
نقل العرب وغيرهم الى أعلا مما كانوا فيه ولم يستطعن ذلك الا بالهن من  
القدر الذي يليق بانسان ذي رأي مدود، وعقل مذكور ، وتقى مشابهة  
وحسبك من هذا ان ذلك الرجل العظيم عمر بن الخطاب ابا العدل وابا  
الفتوح وابا السياسة والادارة لم يكن اسلامه الا بمحاورة سيدة من اولئك  
السيدات القرشيات هي اخته فاطمة زوجة ابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل  
نحن نعلم أن أكثر الناس يمرون بالملزية يهدون أمثالها فلا يلتفتون اليها  
ما لم تكن رائحة وفوق ما اعتادوا وهذا عندنا صار لان فيما يهدونه ايضاً  
ما يستحق الالتفات اليه ، وينري بالانتفاع منه ان كان مفيداً ، والانتقال  
عن الانسان المفيد اذا لم يكن فوق العادة يوصل الى الحرمان البتة من ذلك  
الرائع المنشود ، والسامي الذي هو فوق المهود

## ٣١٠ المؤلف وغير المؤلف (الناشر م ١١)

ولا يشكن القارىء في ان كثيراً من الاشياء التي صرفتنا الألفة عن إجلال شأنها هي في جلالة الشأن عند الإيمان فوق ما تصور. وفي كثير مما لا تفكر فيه منها ما تخر الافكار صاغرة أمام زاخر فوائده وباهر أسرارهِ فلذلك أحيانا ان نمر بقارئنا سرّة في تفصيل جملة تلك المزايا التي شرفها قوم «خديجة» حتى كانت بها كريمة المقام فيهم لانهم بما اختلج في صدره التجب من إكبارنا شأن مزايا معبودة في كثيرين وقد يكون قارئنا من حزب الا كثيرين الذين لا يبالون بالمعبودات ، ولا يطربون بنير الغرائب

نعم ، نعم نحن لم نظرف بما فوق المعبود ، ولم نُهد ما وراء المشهود ، ولا عدنا بمبتدعات التصور ، ولا لَدنا بغرائب الحوادث ، وشواذ المصادفة وخوارق العادة ، ولم نمت الى اقيدة القراء الا بمعروف له أمثال ، ومألوف لا تضيق بتصديقه الافكار ، ولكن الامر عندنا في هذه المعبودات على ما قلنا . واذا بُنا اليها بنظر الإيمان غير وسنة عين بصيرتنا ألقينا فيها عند سأم النفس من لذة الحس ، أعظم ما تنوق اليه من لذة التصور وفائدة الإدراك

واذا كانت الحياة واحدة كان جديراً بنا ان نقف متذكّرين هذه الوحدة ابدأً أمام كثرة اختلاف المظاهر وشدة احتجاب الاسرار ولم يكن حسناً بنا ان ننسى أحاسن ما تله لنا هذه الالم من الصور التي لا نحصى  
انا بتذكركم من نادوا وشادوا ، وبتذكركم من صلحوا وأصلحوا ،

( المارچ ٤ م ١١ ) فضائل خديجة والفضائل عند العرب ٣١١

بتذكرنا من أوجدوا وابتدعوا - تذكر تاريخ امنا الحياة وترتاح نفوسنا  
باستجلاء أحسن صورها، وتوارد عليها اللذة باشتيائها الى نصيب من  
زوة تلك الام التي جادت بمقادير منها عظيمة على اخوتنا أصحاب تلك  
المظاهر ولا يسي تلك الصور، ولم لا تنوق الى حديث ذلك التراث وهو  
يملا كنوزاً ان عجزت أفكارنا ان تحيط بكنه جواهره خيراً فهي لا تسجز  
ان تأتينا بلذة من التأمل في بديع كيانها والامل ببلوغ ما تميل اليه  
النفس منها

## الفصل السادس

فضائل « خديجة » والفضائل عند قومها

تبارك واهب الحياة، فقد أبدع لنا في «خديجة» المثال الاسنى منها،  
وأطلع لنا في شخصها زواهر الانسانية الفضلى، وبنور هذه الزواهر رأينا  
مدارك قريش في الافق الأعلى، وتريتهم الادبية والعقلية في المنزلة العليا  
نحن مشربني الحياة متفاوتون كثيراً في قوى النفوس وأكثرا في  
الحقيقة منيونا الحظ، منقوص النصيب من القوى التي تكون بها الحياة هنيئة  
شريفة مسعدة لصاحبها وغيره وتقليل منا من رزقوا فضلاً من هذه القوى  
النافعة الآتية بالنبطة والجور. ولدى التأمل نجد استعداد فطرة الشخص  
هو الاساس في حسن الحظ من هذه القوى النافعة ثم للتربية دخل كبير  
فاذا اجتمع في الشخص استعداد حسن وتربية حسنة كان حظه عظيماً من



## ٣١٢ المعروف والمنكر ميزانان للارتقاء عند العرب ( المازج ٤ م ١١ )

فضائل النفس وقد اجتمعتا في «خديجة» فرأينا في سيرتها ذلك المثال السني،  
والكمال السمي

عرفنا حسن استعدادها لان الترية وحدها لا تقبل شيئاً في جوهر  
النفس اذا كان غير صالح لقطبها كما لا يصلح الماء، لان تطبع فيه مائشاه،  
وعرفنا حسن تربيتها لان الاستعداد وحده لا يسير بصاحبه الى المرغوب  
في المجتمع

ومن حسن استعداد هذه السيدة وحسن تربيتها عرفنا شيئاً آخر  
جديراً بالتنويه وقلما رأينا من نوره به او التفت اليه فذلك عيننا به نحن  
كثيراً في صدد هذه السيرة وهو ارتقاء قوم «خديجة» ارتقاء عظيماً فان  
الترية الشخصية مقبسة في الغالب من الترية العمومية . والمجتمع غالباً  
اشبه بالمرآة يرينا من الاشياء مقبولا ومردوداً ومسكوتاً عنه . وتشهر  
المقبولات حتى يطلق عليها اسم المعروف ، والمردودات حتى يطلق عليها  
اسم المنكر ، ويضطر الناس الى تقرير ترية عمومية هي اذ لا يخالف المعروف  
ولا يوافق المنكر، ويبقى للناس سبع في المسكوت عنه من الاشياء حتى  
يرى كل منهم رأيه فيها فهذا يستحسن شيئاً حتى يوجهه على نفسه، وذاك  
يستقبح شيئاً حتى يجرمه عليها . وأعقل الناس في هذه الاشياء المسكوت  
هنها من جعل المعروف والمنكر معياراً لها فكل ما قرب من المعروف كان  
حسناً ويكون وجوبه على حسب درجة قربه من المعروف، وكل ما قرب  
من المنكر كان مسترذلاً ويكون حظره على حسب درجة قربه من المنكر .  
والاصل في المنكر هو الاذى والعدوان وعليه قيس الاصل في المعروف  
قياس الضد فالاصل فيه العدل والاحسان

(المناج ٤٠١) تروية ملكم الكرم والشجاعة عند العرب ٣١٣

فعلى هذين الاصلين تقوم دعامة النظريات في التربية وعلايمها تشاد  
الاعمال فيها

وأي باحث لا تأخذه هيبة اذا طامع على ما كان تقوم «خديجة» من التمتع  
في دقائق هذا الفن من حيث النظر، وعلى بدائع النتائج فيه من حيث العمل،  
أي والله ان هؤلاء القوم انزلوا في ذلك البلد الصنير البعيد، واخوانهم  
الآخرين الضاربين في تلك النياقي، يدهش المعالم ما يراهم من الباع الطويل  
في فن التربية على مقتضى مجتمهم ذاك. فترهم مثلاً لما كانت السامة  
ضرورية ولا سيما لذلك الاجماع جملوها في المنام الاول ولم يأوا  
بطبعها في النفوس حتى نبغ فيهم أجواد بقوا بهمهم في الجود الكواكب  
وازيحت الارض بمنقوب همهم، واشار اخيمهم الانسان على انفسهم، كما فعل  
كعب بن مامة الذي أثر رفته بانه ومات هو عطشاً

ولما كانت الشجاعة ضربة لازب لكل شخص وكل جماعة في كل زمان  
وكل مكان تجدهم جملوها شماراً محامداً وتاج المناقب وسيروا فيما ضربه  
من الامثال قولهم «الشجاع موقى، والجبان ماقى» وكانوا يهادون بالموت  
قتلاوية يهاجون بالموت على الفراش ولما بلغ عبدالله بن الزبير - وهو ابن  
أخي خديجة - قتل أخيه مصعب فخطب فقال «ان يقتل فقد قتل أبوه  
وأخوه وعمه. اننا لانموت خنفاً ولكن قطعاً بأطراف الرياح وموتاً تحت  
ظلال السيوف. وان يقتل المصعب فان في آل الزبير خنفاً منه» ذلك لانهم  
كانوا يكرهون الحياة اذا لم تشرف ويروون الحياة الرذيلة معرضة للعمم أكثر  
من الحياة الشريفة ولمثل هذا يقول علي ابن أبي طالب «بقية السيف أنمي  
(المجلد الحادي عشر) (٤٠) (المناج ٤)

## ٣١٤ شجاعة العرب ويوم ذي قار (النازح ٤م ١١)

عدداً، وأطيب ولداً، وتقول الخنساء وهي إحدى الشهيرات في العرب:  
 نهين النفوس وبذل النفوس من يوم الكربة أبقى لها  
 لا يستكرن أحد اذا قيل له ان الشجاعة هي السجية التي لا ترقى  
 الام اذا خلت منها كانت في العرب من الاخلاق الفاسية التي لا يعتدون  
 بأحد منهم ما لم تكن فيه وقد سهل على قوسهم انطباع هذا الخلق فيها لان  
 أكثر شيء كانوا يتناقلونه هو حديث الشجيمان واقدامهم في الشدائد  
 حتى فضلوا، والجبناء واحجامهم فيها حتى رذلوا، وهنالك من الشعر في  
 الشجاعة والشجيمان ما يفعل في النفوس فمل السحر فيستزلها من الخوف  
 على الحياة والهرب بها الى الخوف على الشرف حتى تهون النفوس في  
 سبيله كقول عنزة وهو أحد مشهوري شجعانهم:

بكرت تخوفني الخوف كأني أصبحت عن غرض الخوف بمزل  
 فاجبتها ان النية منهل لا بد ان أسقى بكاس المنهل  
 فاقني حياء لا ابالك واعلمي أنني امرؤ سأموت ان لم أقتل  
 وقد يظن ظان أن شجاعة العرب وبأسهم لم يكن الا فيما بينهم ومثل هذا  
 الظن من قلة الاطلاع على جملة أخبارهم فنحن لا زبد ان تأتي بآية على  
 شجاعتهم مما فعل هؤلاء القوم بعد اسلامهم فان ذلك مشهور ولكن حسبنا  
 ان ندل القارئ على ما كان من بأس العرب يوم ذي قار اذ أراد كسرى  
 أن يوقع سوءاً بيني بكرين وائل لسبب لا محل لتفصيله فجهز عليهم  
 جيشاً كثيراً ليهلكهم به وبلغهم خبره فتجهزوا له واعانهم قبائل أخرى  
 فتوافوا بواد اسمه ذوقار وكانت الهزيمة على جيش كسرى حتى تبعهم  
 العرب الى داخل البلاد الفارسية وهي واقعة مشهورة كثرت فيها الاشعار،



وظهر فيها مالا لشجاعة من الفضل في كسب الفخار، وحمى الذمار، واتقاء العار،  
وفي هذه الواقعة يقول الاعشى اعشى بني بكر:

وجند كسرى غداة الخو صبحهم      منا غطاريف ترجو الموت وانصرفوا  
لقوا مللمة شهباء تقدمها      للموت لا عاجز منا ولا خرف  
فرع نمته فروع غير ناقصة      موفق حازم في أمره أنف  
فيها فوارس محمود لقاؤهم      مثل الاسنة لا ميل ولا كشف  
لما رأونا كشفنا عن جاجنا      ليعلموا اننا بكر فينصرفوا  
قالوا البقية والهندي يحصدهم      ولا بقية الا السيف فانكشفوا  
لو ان كل ممدٍ كان شاركنا      في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف  
لما أمالوا الى النشاب أيديهم      منا يبيض لئلا الهام تختطف  
اذا عطفنا عليهم عطفة صبرت      حتى توت وكاد القوم ينتصنوا  
بطارق وبني ملك مرازمة      من الاعاجم في آذانها الشنف  
من كل مرجاة في البحر أحرزها      تيارها ووقاها طينها الصدف  
كأنما الآل في حافات جمعهم      والبيض برق بدا في عارض يكف  
ما في الحدود صدود عن سيوفهم      ولا عن الطعن في اللبآت منحرف

وفي هذه الواقعة يقول العديل بن الفرغ المجلي:

ما أوقد الناس من نار لمكرمة      الا اصطلينا وكنا موقدي النار  
وما يمدون من يوم سمعت به      للناس أفضل من يوم بذى قار  
جئنا بأسلأهم والخييل عابسة      لما استلبنا لكسرى كل أسوار

وفيه يقول شاعر آخر من بني عجل

ان كنت ساقية يوماً ذوي كرم      فاستي الفوارس من ذهل بن شيبان

واسقي فوارس حاء وواعن فمارهم واطلي مفارقهم مسكاورمحا  
وهي واقعة شهيرة ظهرت فيها الشجاعة المربية أكل منظر وكان  
المنذر لهم بنية كسرى وعزمه لقيط الاياي اذ كتب الى بني شيان  
ينحبرم بذلك في شعر مشهور غاية في البلاغة والتحميس واستثارة الزائم  
وفيه يقول:

قوموا جميعاً على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا قد ينال الامن من فزعنا  
وقلدوا أمركم لله دركمو ربح الذراع بأمر الحرب مضطلما  
لاسترقاً أن رخاء العيش سائده ولا اذا عض مكروه به خشما  
مازال يحلب هذا الدهر أثطره يكون متباً طورا ومتباً  
حتى استمر على شرد مريرة مستعكم الرأي لا فحما ولا ضرعاً (\*)  
وليس بشغله مال يشوره عنكم ولا ولد ينفى له الرفا  
فلي مثل ما ذكرنا كان نصيب العرب عامة وقبيلة خديجة خاصة من  
الشجاعة التي لا قوام الا بم بدونها وكانوا لا يتدنون بالجبان ولا يعدونه  
شيئاً مذتورا . ينالك بذلك قول احد شعرائهم

خرجنا نريد مفاراً لنا وفينا زياد ابو صصة  
فسته رهط به خمسة وخمسة رهط به أربعة

ثم لم يكن نصيب قوم «خديجة» في فقه النفس والحكمة والمعارف  
بأقل من نصيبهم العظيم في الشجاعة فقد كانوا يتناقلون المعارف ويتدارسونها  
من غير كتب وكانت لهم الامم قبل بحركات الكواكب والانواء التي

(٥) الميزة طاعة الجبل والجبل اشديد القتل . والشرد اقتل عن اليسار  
والنقى استعكم امره ونوبت شكيته . واتفهم ارجل الهرم واتضرع الضعيف

(المنار ج ١١ م ٤) علم العرب بالطب والنسب والأدب ٣١٧

تبعها . وهو يقتضي شيئاً من معرفة الحساب وكان لهم معرفة غير قليلة بالطب وحفظ الصحة سواء كان طب الانسان او طب الحيوان . والطب يقتضي ايضاً نصيباً من علم الخواص التي اودعها الباري في الممذون والنبات والحيوان . اما معرفتهم بالاخبار اي التاريخ فحدث عنها ولا حرج وكانوا يبررون عن هذا العلم بعلم النسب فان علم النسب في الحقيقة ليس عبارة عن معرفة نسب الاشخاص والقبائل فان هذه معرفة بسيطة لا تستحق ان تسمى علماً وإنما كانت النساء يعرفون أخبار أولئك الاشخاص وأخبار تلك القبائل وهذا هو التاريخ وربما كان السبب في اشتراك هذه المعرفة باسم علم الانساب أن عارف الأخبار كان اليهم المرجع في معرفة الانساب التي من أهم نوائدها معرفة تقرب القبائل وإحلال التفرع بأصولها على شدة البعدين الأصول وتلك القروع أحياناً . وقد كان منهم اختصاصيون بهذا العلم يلقون منه على من يتعلقون حولهم . قال رؤبه بن المجاج قال لي النسابة البكري « يارؤبة املك من قوم ان سكت عنهم لم يسألوني وان حدثهم لم يفهموني » يعيب بذلك على الذين لا يرغبون في تاقى هذا العلم حق الرغبة قال رؤبة فقلت له : اني أرجو ان لا اكون كذلك . قال فما آفة العلم ونكرته وهجته ؟ قلت : تخبرني : قال « آفة العلم النسيان ، ونكرته الكذب ، وهجته نشره عند غير أهله »

وأما الحكمة والآداب والبيان فقد بلغ فيها هذا الشعب العربي من الانصباب على حفظها ودراسة الكلام الجوامع فيها مبلغاً عظيماً ويمكنني ان أقول انها من أشهر ما اشتهر عنهم .

وهل يجد الباحث معنى من المعاني التي يخطر للنفس فيها الاستحسان



أو الاستهجان إلا ومجد لهم الشافي الوافي من البيان في تصويره وإبرازه بأبداع حلة ولا ينبئك ببعض ذلك شيء كالمأثور من كلمهم الجوامع التي سارت مسير الأمثال، وكانت كالدرر القرائد بين سائر الأقوال، ولا نستطيع أن نأتي هنا بقليل من ذلك الكثير لكيلا نبتد بالتأريء عن سياق السيرة ولكننا نذكر خبراً واحداً يدل على مقدار عناية العرب بهذا كرم الحكم والآداب، وصياغتها بأبداع البيان، ومقدار ما وسعت منها تلك الأفكار. ذكروا أن عمرو بن الطرب المدوناني وحمزة بن رافع الدوسي اجتماعاً عند ملك من ملوك حمير فقال: تساءلنا حتى اسمع ما تقولان. فقال عمرو لحمزة أين تحب أن تكون أيديك؟ قال: «عند ذي الرتبة المديم، وعند ذي الخلة الكريم، والمسر المديم، والمستضعف الحليم» قال: من أحق الناس بالحق؟ قال: «الفقر المختال» والضعيف الصوّال، والفني القوّال، قال فمن أحق الناس بالمنع؟ قال: «الحرص الكاند، والمستفيد<sup>(١)</sup> الحاسد، والخلف الواجد» قال من أجدر الناس بالصنعة؟ قال من إذا أعطي شكر، وإذا منع عذر، وإذا مُطّل صبر، وإذا قدم المهدى ذكر. قال من أكرم الناس عشرة؟ قال: «من إذا قرب بمنع، وإذا ظلم صنف، وإن ضويق سمح» قال من ألام الناس؟ قال من إذا سأل خضع، وإذا سئل منع، وإذا ملك كنع<sup>(٢)</sup>، ظاهره جشم، وباطنه طبع»<sup>(٣)</sup> قال فمن أجل الناس؟ قال: «من عفا إذا قدر، وأجل إذا اتصر، ولم تطفه عزرة الظفر» قال فمن أحزم الناس؟ قال: «من أخذ رقاب الأسود بيديه، وجعل

(١) المستفيد هو المستعطي (٢) معنى كنع هنا انكمش (٣) الطبع بفتحين

العواقب نصب عينيه ، ونبذ التهييب دبر أذنيه « قال فمن أخرج الناس؟ قال من ركب الخطار، واعتسف المثار، وأسرع في البدار قبل الاقتدار<sup>(١)</sup> » قال من أجود الناس؟ قال « من بذل المجهود، ولم يأس على المفقود » قال فمن أبلغ الناس؟ قال « من حلى المعنى العزيز، باللفظ الوجيز، وطبق المفصل قبل التحزير » قال من أنعم الناس عيشاً؟ قال « من تحلى بالعفاف، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف، الى ما لا يخاف » قال فمن أشقى الناس؟ قال « من حسد على النعم، وسخط على القسم، واستشعر الندم، على ما أنتم » قال من أغنى الناس؟ « قال من استشعر اليأس، وأظهر التجميل للناس، واستكثر قليل النعم، ولم يسخط على القسم » قال فمن أحكم الناس؟ قال من صمت فاذكر، ونظر فاعتبر، ووعظ فازدجر » قال من أجهل الناس؟ « قال من رأى الخرق مغنا، والتجاوز مغرماً »

وما ذكرناه من جهة معارف القوم الذين نشأت منهم هذه السيدة كاف في الدلالة على انه كان من جملة ما يعنون به من التربية ثقيف ناشتهم بما عندهم من المعارف على الطريقة التي أنقوها وتمودوها في التلميم وهي الطريقة الطبيعية الساذجة الخالية من الاصطلاحات والتعاريف والتفاصيل التي يحتاج اليها نفر قليلون ويستغني عليها الآخرون. ولكل فرع أهله الذين بهم استعداد لا تقاطه بسهولة ولا يكلف البليد في شيء ان يكبد في تفهمه مدرسته، أو ينضي في حفظه ذاكرته، أو في توسيمه مخيلته

ثم قد كان مما عني به المقالة من رهط خديجة التربية على العدل ولقد اسلفنا شيئاً عن ولعهم به وحرصهم على حماية المظلوم ووقاية المهنوم

### ٣٣٥ أصول الفضائل عند العرب أعدتهم للإسلام (الذارج ٤م ١١)

وكذلك واهلوا بمداح النفاق وتشريف الاعفاء والمفايف، واجلال الطهارة واهلها وكان من أكرم أئمتهم وأجلها لقب الطاهر والظاهر وقد حازت السيدة « خديجة » هذا اللقب الشريف باستحقاق اذا كان يقال لها « الطاهرة »

فإذا عرف المطالع الكريم ان هؤلاء التوم حظاً كبيراً من هذه الاشياء التي هي أصول الفضائل نفى السباحة والشجاعة والحكمة والآداب والبيان والمدل والتعفف كان جديراً به ان لا ينظر الى صغر شأن ذلك المجتمع اذا قورن ببلاد الحضارة فان الفضل الانساني المنوح من يد القاطر المدع لا يتوقف على زخرف البيوت وكثرة الدهر في البلدان او احبل يصل ذلك الفضل برسالة وباني من يده سبحانه الى الترات الصغيرة التي في الادمية ويختص به سبحانه أفراداً ممن غنوا بتوجيه الفتول والقلوب الى تصفية النفس وتركها من التناقص وتحليتها بالفضائل ممن لم يجهلوا ا كبرهمهم تجويد المأكل والملبس والسكن والراش . فإذا كثر من هؤلاء الافراد في أمة ظهرت وان حل الخفاء بهم واستوفت وار بنحس الوزن لهم ، ولم يكن الافراد الذين تلو اعدية الفضل الانساني من الاحسان الرباني قليلين في قوم « خديجة » الفاضلة بل كانت كثرتهم خير مقدمة لخير نتيجة هي ظهور ذلك الرسول الكريم الذي كان من أ كبر مميزات جماعته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، او تلك الذين واقام الوحي بينهم بنام امله قائلا « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ »



﴿المجلد الحادي عشر﴾

٢٢١

﴿الجزء الخامس﴾

بوقت الحكة من شامس فوشا حكة فداوتي  
فوشا حكة فوشا حكة فوشا حكة فوشا حكة

المجلد  
١٣١٥

فوشا حكة فوشا حكة فوشا حكة فوشا حكة  
فوشا حكة فوشا حكة فوشا حكة فوشا حكة

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و ه منارا ه كنار الطريق ه

(مصر - الاثنين ٣٠ جمادى الاولى ١٣٢٦ - ٢٩ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٨)

## المسلمون والقبط

سبق لنا قول في هاتين الطائفتين بمصرينا فيه ان المسلمين من حيث هم افراد ارقى من القبط في كل علم وان القبط من حيث الاجتماع والتعاقد المالي ارقى من المسلمين فلم مجلس ملي وجمعيات وجرائد دينية تبحث دائما في مصالحهم العامة من حيث هم قبط وهم يتعاونون ويتحدون في المصالح . وهذا ماحدثهم واحمدهم عليه واتمنى لو يوفق المسلمون لمثله وان كنت أعلم انه لو أنشأ المسلمون جمعية للرابطة الاسلامية كجمعية الرابطة المسيحية لما وجدوا في القبط مثل احمد بك زكي يقوم فيها خطيا ويحمل عنوان خطابه « مصريون قبل كل شيء » بل يخشى ان يقوموا كما تقوم اوروبا ويقول الجميع ان المسلمين في مصر يحبون التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية ويدعون الى ارتباط بعضهم ببعض لمقاومة النصارى في مصر بل في جميع الارض

لم تكذ تهر شقشقة احمد زكي بك من دعوة المسلمين في جمعية الرابطة المسيحية الى توثيق عقد الاخوة بينهم وبين القبط ويقتنهم بالادلة الدينية والتاريخية ان الاسلام في هديه وسيرة سلفه يوجب عليهم المودة للقبط حتي قام بعض الكتاب من القبط يكتبون في بعض الجرائد القبطية وغيرها ان حقوقهم مهضومة بين المسلمين وانهم يطلبون المساواة بتعيين المديرين ومأموري المراكز منهم فوافقهم جرائد المسلمين الكبرى في مطالبهم فلم يقتنهم ذلك بل تبادوا في الكتابة حتى جعلوا انفسهم اصحاب البلاد وجعلوا المسلمين من قيل المحتلين بغير حق واغلظوا القول للواء والحزب الوطني فكتب الشيخ عبد العزيز شوايش رئيس تحرير جريدة اللواء قولاً ثقيلاً في الرد على بعض كتابهم سخر فيه منهم وهزى بهم

( المارج ٥ م ١١ ) حال القبط ودعوة المسلمين الى الوطنية بالائحاد بهم ٢٣٣٩

وافخر عليهم فكان ذلك جل مايفنون من حركتهم الجديدة ( ١ )  
قامت قيامتهم ولم يكتفوا بما يكيلون كل يوم للشيخ عبدالعزیز من الصيغان الكثيرة  
في مقابلة صاعه بل انشأوا يكتبون في جرائدهم ان المسلمين يريدون بتعصبهم الديني  
استئصال القبط وجميع النصارى من مصر وانه يجب عليهم ان يوفدوا الوفود الى  
أوربا للاستغاثة بدولها واممها المسيحية قبل ان يبدهم المسلمون المتعصبون او يضطروهم  
الى الجلاء عن بلادهم والهجرة الى بلاد أخرى يأمنون فيها على انفسهم من المسلمين  
ثم هم يطلبون ايضا معاقبة الشيخ عبد العزيز شاويش الذي أهانوه أضعاف ما أهانهم  
وان يرد عليه ويتبرأ منه كبراء المسلمين ، ويعقدون الاندية والسمار للبحث في هذه  
النازلة ويكتبون بالاموال لها

من علم ان القبط في القطر نحو نصف مليون في نحو أحد عشر مليوناً من  
المسلمين — وان العمال والمستخدمين منهم في الحكومة أكثر من المسلمين — وان  
المسلمين قاموا منذسنيين يدعون الى الرابطة الوطنية فكان لهذه الدعوة من التأثير في

(١) مما كتبوه من التحرش باللواء والحزب الوطني قبل مقالة الشيخ عبد العزيز  
التي جعلوها تكاثهم في اثبات ذلك الخطر المزعوم من تعصب المسلمين على النصارى  
ما جاء في العدد ٣٦٩٨ من جريدة مصر الصادر في ٩ يونيو الماضي وهذا نصه :

#### اللواء والاقباط

« اتنا بالنيابة عن جميع الاقباط في كافة انحاء القطر نقابل ما جاء بصحيفة اللواء  
امس من الوقاحة والسفاهة بالازدراء والاحتقار . فانه اذا بلغ المرء مبلغ اللواء من  
قلة الادب والحياء نحو شعور امة برمتها لم يجد من الناس من يصغى الى قوله او يلتفت  
الى وقاحته بل ينبذ نبد النواة ويترك يذبح نبح الكلاب وليس من يسمع له قولا »  
ثم استشهدت جريدة مصر على ان القبط كلهم على هذا الرأي بالتلفرافات  
الكثيرة لما كتبه وعبرت عنه بقولها « في خدمة الوطنية والحق الذين خلق  
( أي اللواء ) لها عدوا ليخزي هو واتباعه ( أي الحزب الوطني وسائر محبي اللواء ) اذا  
كان من القوم المدركين » ولم يكن اللواء كتب شيئاً بلسان الحزب الوطني ولا بلسانه



## ٣٤٠ سبب تعرض القبط لمشاقة المسلمين ( المأرج ٥ م ١١ )

نفوس القارئین والسامعین، والاساتذة والمعلمین، أن صار یفضل کثیر منهم القبطی، علی المسلم الشامي والحجازي ٠٠٠، بل سمعت غیر واحد من المعلمین والمعلمین یقول لا فرق عندي بین ان یکون أمیر البلاد مسلماً أو قبطياً - وان المسلمین جعلوا أحزابهم وأندیتهم شرعاً ینهم و بین القبط - وان القبط یتعصب بعضهم لبعض فی کل مصلحة وکل عمل حتی فی القضاء - وان المسلمین علی شدتهم فی انتقاد حکامهم قلما ینتقدون القبط فهم ینتقدون وزیر المعارف المسلم علی إحسانه فی عمله بحجة انه لم یکن فیہ مرغماً للانکلیز ولا معاندا لهم أو انه یجب علیه ان یعمل أكثر مما عمل ولا ینتقدون وزیر الخارجية القبطی الذی هو الصق بالمحتلین و بالاتفاق معه سلخ لورد کرومر السودان من ملک الدولة العلیة وملكه للانکلیز وکان رئیس محكمة دنشواي الذی ظلت الجرائد الاسلامیة تعیر وتسب العضو المسلم فیها ولم تذكر رئیسها بسوء - من علم هذا وأمثاله یتعجب أشد التعجب لهذه الثورة المعنویة الذی أثارها القبط فی الوقت الذی یالغ فیہ المسلمون فی مواذتهم وتوثیق عری الاخاء بینهم و ینهم - حتما ان فی الامر مثارا للعجب، وقلما رأینا من بحث فی حقیقة السبب، یقول بعض الناس تبعاً لبعض الجرائد أن قبطی الرحا لهذه الحركة اخنوخ افندی فانوس رئیس جمعیة الرابطة المسیحیة وجمع الاصلاح القبطی وصاحب جریدة مصر الذان یسمى کل منهما الجعل ولده مديراً فهما الذان أیظاً هذه الفتنه لحظ شخصي فكانت فتنه جنسیة او طائفیة باتباع الجمهور لها - ومن رأی أنهما بریثان من هذه التهمة ولو کان ذلك هفوة لهما، لما خفی علی جمهور طائفتها الخازمة البقطة، بل یلغب علی ظنی ان هذه الطائفة تمجل عن أن تتوصل الی تقرير جعل المديیین منها بهذه الوسيلة لان ربح مدیر لا یوازي خسارة مودة المسلمین لهم، ودعوتهم الی مساواتهم ومواختاتهم - هذه الخسارة الذی تعرضوا لها الآن، بمتهی ما عندهم من الجرأة والإقدام والراجح عندي ان القوم شعروا بالتغیر الجدید فی السیاسة وعلم بعض کبرائهم بالنیاب الذی نشرناه فی الجزء الماضي قبل ان نعلم به - وهو عزم الانکلیز علی السماح لأمیر البلاد بإنشاء مجلس نیابی - ومن البدیهي ان جمهور القبط لا یرغبون فی ان یکون فی مصر مجلس نیابی ولا أن یقل المحتلون من سیطرتهم علی البلاد - فلما علموا بذلك

## (المنار ج ٥ م ١١) إدلال القبط وتوثيبهم على المسلمين ٣٤١

رأوا أنه لا سبيل إلى تحويل الانكليز عن هذه السياسة الجديدة إلا باقناع امتهم بانفجار بركان تعصب المسلمين على القبط وسائر المسيحيين ليقولوا ان هؤلاء اذا جعل لهم رأي نافذ في سلطة بلادهم يهضمون وهم الاكثرون حقوق الاقلين. واني لمعظم لقد رهم بهذا الظن ومعتقد فيهم الحزم والتكاتف وان ترجح عندي انهم ربما أخطأوا في اجتهادهم، وجاء الأمر على خلاف مرادهم، وحينئذ يكون شر هذه الحركة اكثر من خيرها، وإثمها اكبر من نفعها،

سمعا غير واحد من أهل الفهم والرأي يقولون إن تعصب القبط بعضهم لبعض وتعاونهم على مصالحهم المالية يعد من الأمور الطيمية في الاجتماع فان الفئة القليلة إذا لم تعصم بعزرة التعصب فانها تذوب وتفتي في الأمة الكبيرة التي تعيش معها فالقبط معذورون في سيرتهم التي هم عليها لأنها طبيعية لا بد منها

وتقول نعم إن ذلك طبيعي وبديهي ولكن ما كان كذلك يجب الاعتراف به ويستنكر جحوده فما بالك بادعاء ضده. ثم انه ليس من الطبيعي البديهي أن تكون الفئة القليلة في الأمة الكبيرة مهاجمة في جهادها الاجتماعي فتطلب ما تبغي بالطريقة التي جرت عليها القبط في هذه الأيام الا إذا كان لها حدث جديد، أو أوتيت إلى ركن شديد، يعبرون عن أنفسهم في مقام مطالبة المسلمين بما يطلبون بالأمة القبطية ويبدأون بأنهم أصحاب البلاد، لأنهم سلالة فرعون ذي الاوتاد، ويجبرون بأن المسلم فيها أجنبي محتل، وأتأوي معتد، وينكرون على المسلمين أن يكون لهم فيها حق من حيث هم مسلمون فاتحون، ولا ينكرون على أنفسهم أن يدعوا الحقوق فيها من حيث هم قبط مسيحيون، وهم في الحقيقة رعايا ذميون، فما هو الحدث الجديد الذي أنطقهم بهذا اللسان، وما هو الركن الشديد الذي يأوون إليه الآن،

لا يظهر لنا حدث غير ما بيناه من تغير السياسة الانكليزية في البلاد وعزمها على السماح للأمر بتأليف مجلس نيابي فيها يشترك معه فيما يسمونه مسؤولية إدارتها. ولا نعرف لهم ركناً فيما صمدوا إليه الا رغبة السياسة الأوروبية عامة والانكليزية خاصة في نزع نهضة المسلمين بالنعصب الديني — فهذا ما رأوه من موقع الضعف في المسلمين والقوة لهم، لهذا جعلوا قول الشيخ عبد العزيز شاويش وهو على رأيهم دخيل في مسلمي

## ٣٤٢ سبب دعوة المسلمين للوطنية وتبنيها ( المارج ٥٠م ١١ )

« مصر برهاناً على أن في مصر تعصباً إسلامياً لا يلبث أن ينفجر بركانه فيدفن القبط وسائر النصارى معهم تحت مقذوفاته النارية . وقد طلبوا من الحزب الوطني أن يتبرأ من هذا القول ففعل ومن العجب أنهم لم يرضوا . ويقال أنه قد تجددت لهم صلة ودية برئيس أساقفة الكنيسة الانكليزية ، وأنه رغب اليهم في الرجوع إليه ، والتعويل في رغائبهم عليه »

ولكن فاتهم على حذقهم أن السياسة ( لا سيما الانكليزية منها ) اذا قررت أمراً أنفذته لا محالة لا يصدها عنه مراعاة فئة صغيرة ولا كبيرة ، ولا مسألة اختراعية كمسألة التعصب الاسلامي ، او حقيقة كإزالة السلطة الشخصية وحماية الحرية القومية ، فنشرهم بأن السياسة الجديدة التي ينهنا المنار في الجزء الماضي واقعة مالها من دافع . وأمر مجلس النواب في هذه البلاد صارموكولا الى ارادة أميرها باختيار المحتلين ورضاهم أو كاد . فان نجحت الحركة القبطية فقصارى نجاحها ان تكون سبباً في تأخيرها عاماً أو أكثر وما ذلك بالرجح الكثير في جنب ما ينخسرون من مودة المسلمين بما اشتملت عليه مقالاتهم من التهم بمجد الاسلام الاول والشماتة بزواله كالتصير عنه « بالعظمة البالية » ورمي المسلمين السابقين بظلمهم وظلم غيرهم ، واللاحقين بالتعصب عليهم وعلى أهل دينهم ، وبمطالبة جميع كبراء المسلمين وكتابهم بأن يقتدروا لهم عن مقال الشيخ عبد العزيز وان كانوا هم البادئين بالعدوان وقد أصرّوا عليه بجعل ذنب الشيخ عبد العزيز ذنباً لجمهور المسلمين ، وبالسعي في جمع كلمة نصارى السوريين والروم والأرمن اليهم لمقاومة المسلمين كما روي لنا ويؤيده مايكتبون في الجرائد ، وترجمة الأقوال السيئة التي يكتبونها ويكتبها الآخرون باللغات الأوربية ، لا يهيام أوربا ان في البلاد تعصباً ربما يفضي الى ثورة دينية ،

أول خسارة خسروها بهذه المغاضبة هي اعتقاد المسلمين ان دعوة الوطنية التي قاموا بها في هذه السنين قد كانت خساراً عليهم وربما للقبط وحدهم . فان دعاة هذه الوطنية من المسلمين كانوا يبعثون بها ان يتحدوا بالقبط ويتعاونوا معهم على مقاومة السلطة الاجنبية ولذلك رضوا بأن يساووهم ويؤاخوهم مع العلم بأن الحكومة في صفها الرسمية إسلامية تابعة لخليفة المسلمين باتفاق الدول ، بل غضوا النظر في الغالب عن



رجحانهم عليهم لهذا الغرض . فتبين لهم ان القبط لا يرضون بهذا الاتحاد من كل وجه بل يستفيدون منه ويحولون دون استفادة المسلمين شيئاً منهم ، حتي نفي التعصب عنهم ، ثم ينفون أعمالهم كلها على أنهم أمة ممتازة لا عضو في جسم الأمة المصرية او الشعب المصري - وانهم لا يرضون بمقاومة الاجني ولا يودون استقلال البلاد دونه - وانهم اذا وجدوا فرصة لمواثبة المسلمين واثبؤهم من أضعف جانب فيهم كنزهم بقلب التعصب ومعاداة النصارى في هذه الأيام . فاذا كانت نتيجة دعوة المسلمين الى الوطنية المصرية بلسان جرائدهم وخطبائهم واحزابهم وعد القبطي أخاهم ، والمسلم غير المصري « دخيلا » فيهم ، ان تقوم عليهم جرائد القبط وجمعياتها الدينية ، وأنديتها القومية ، ترميهم بالغلو في التعصب والتواطؤ على إبادة النصارى فأى فائدة لهم في هذه الوطنية ؟ بل أي غائلة شر عليهم منها ؟؟

أقول إن في هذا خساراً للقبط لأنه ربما يغري المسلمين بمناظرتهم والتشبه بهم في جمعياتهم الدينية وترجيحهم لأبناء ملتهم في جميع الأعمال والمصالح . واذا دب في المسلمين الشعور بوجوب ترجيح المسلم على القبطي كما تفعل القبط فان ذلك يثر حرمان ألوف من القبط من موارد الرزق السائغة في دوائر المسلمين الخاصة بل ربما يعوزهم معه - اذا تمادى وعظم - اقيام باستغلال أرضهم كما يستغلونها الآن بمساعدة المسلمين . دع عنك مصالح الحكومة التي أكثر عمالها من القبط ولولا تساهل المسلمين وعدم عنايتهم بالمسابقة والمناظرة لكان الامر على غير ما هو عليه الآن وناهيك بالخسارة المعنوية التي هي عند أهل الآداب العالية شر من خسارة المال وهي ما يخشى ان يكون من التقاطع والتدابير بين العشراء والخلطاء والجيران والأصدقاء

فالرأي عندي للقبط أن لا يغتروا بترجيح بعض الجرائد الأفرنجية لأصواتهم في الشكوى من المسلمين والقول بتعصبهم ولا من سرور بعض الانكليز به - ان كان ما قيل من ذلك حقاً - فانهم مهما أصابوا من تعصيف في مشاقة المسلمين فهو لا يكون خلفاً صالحاً لمودتهم فيما أرى . فأنصح لهم أن يتوبوا مما فعلوا ويعتذروا عنه ويعودوا إلى سابق شأنهم أو إلى خير منه ان استطاعوا والمسامون تغلب عليهم سلامة القلب فلا يلبثون

ان يغفروا لهم، وينسوا ما كان منهم، ففي حديث أبي هريرة عند أبي داود والترمذي « المؤمن غر كريم » أي ليس بذي نكر ولا مكرو ولا خداع . ولولا انني أحب الوفاق لما نصحت لهم بهذا فاني أعلم ان هذه المشاقة لا تزيد المسلمين الا قوة في رابطتهم الاسلامية التي أدعو اليها ، وحفظا لحقوقهم التي أغار عليها ، ولكنتي أفضل أن يكون تنبيههم لذلك بغير هذا ، أحب ان يقتصموا بحبل الله جميعاً ولا يفرقوا وان يكونوا مع ذلك على وفاق ووئام مع من يعيش معهم . وأنصح للمسلمين ان لا يكتبوا شيئاً في الرد على القبط — ولولم يكتبوا في الماضي ما كتبوا لكان خيراً لهم . أحسن إطفاء لتلك الفتنة وخذلانا لموقفها - ولكن لا بأس ببيان عدد الموظفين منهم في كل مديرية وذكر الوجة في تعصب بعضهم لبعض ، وتعاونهم المالي المحض ، من باب بيان الحقيقة والاعتبار بها ، بشرط ان يتحرى الصحيح ، ولا تمزج الرواية بشيء من التأنيب والتجريح ، فضلا عن الهجر والتقييح ،

ومما يحسن البحث فيه ايضاً بيان ان القبط لا يتأزون بحق رسمي على غيرهم من النصارى المتجندين بالجنسية المصرية من السوريين والأرمن والروم ومن اليهود أيضاً وانما ميزهم المسلمون في مقالاتهم وخطبهم التي يجعلون فيها المصريين عنصرين فقط ويعدون القبط إخوانهم دون غيرهم من الذين جعلوا مصر وطناً لهم ويعدهم القانون المصري مصريين لولادتهم بمصر او لا قامتهم فيها ١٥ سنة او أكثر فالنسب القديم ليس شرطاً للوطنية ولا للجنسية عند أحد من الامم ولا في شيء من قوانينها . فاذا كان من الحق مطالبة القبطي بأن يكون مديراً كان من الحق ان يكون السوري الذي تجنس بالجنسية المصرية مديراً ووزيراً ، فالحق انه لا فرق بين ابن اخنوخ افندي فانوس ، وابن يعقوب افندي صروف ، فالوطنية الحقيقية هي المساواة بين جميع العناصر التي تقيم في البلاد وتحكم بقوانينها . الا أن يكون للطائفة الحاكمة بعض المزايا في القوانين العامة وطبيعة الحكومة

فما يبحث فيه هنا طبيعة الحكومة المصرية ودينها الرسمي فاذا كانت لا تزال حكومة إسلامية خلافا لما يقول بعض القبط علم ان طلب هذه الطائفة مساواة المسلمين في كل شيء في غير محله . واذا كانت قد خرجت عن كونها إسلامية وعن كون

أميرها وكيلًا لخليفة المسلمين فيجب البحث في تعيينه للقضاة الشرعيين ، ولادارته لأوقاف المسلمين ، ولتعيينه للخطباء وأئمة المساجد ونحو ذلك من المسائل الشرعية هل هي مع ذلك حقوق شرعية له أم هو لا يملكها الآن الا بالتغلب والقوة المستمدة من القبط وغيرهم دون ولاية الشرع لان البلاد خرجت عن كونها دار إسلام ؟؟ بهم المسلمين جدا ان يعرفوا ذلك لانه يترتب عليه احكام شرعية كثيرة منها ما هو ديني محض وما هو مدني شرعي

نسمي القبط ما تطلبه الآن مساواة بالمسلمين وهو مساواة من وجه وامتياز عليهم من وجه آخر . فاذا كانت حكومة مصر غير اسلامية وكان المسلمون فيها لا يمتازون بشيء قط فلماذا تكون أمورهم المالية الخاصة كالحجكم الشرعية والاوقاف والمدارس الدينية تحت سلطة الحكومة المشتركة وتكون امور القبط المالية وأوقافها في أيديها ؟ اليس يكون هذا من امتياز القبط على المسلمين ؟

يغلب على ظني ان زعماء الحركة القبطية اذا فكروا في الأمر من جميع وجوهه فانهم يفضلون السكون والسكوت على التمادي في هذا العدو والصياح الا ان يكون الركن الشديد الذي يأوون اليه قد ضمن لهم ان يكونوا هم الرابحين بمشاققتهم للمسلمين وإثارتهم لسخطهم وتعرضهم لمقاومتهم

لو لا أنني اظن صدق الخبر الذي اوردته في الجزء الذي قبل هذا عن السياسة الانكليزية الجديدة بمصر لغلب على ظني ان الركن الذي تأوي اليه القبط في هجتهم هذه هي السرالدين غورست نفسه والوزارة الانكليزية من ورائه أما وانا مصدق لذلك الخبر فلا يبعد عندي ان يكون ركنهم بعض المحافظين من الانكليز ورئيس اساقفة كنيستهم ( كنتربري ) والا كانت القبط طائفة حمقاء وما عهدتها الا طائفة كياسة وروية ، وحزم وتدبر ، وستزيل لنا الايام ، بين الحقائق والأوهام ،

فاذا فازت القبط في سعيها فامتنع الانكليز عن السماح للامير باشاء المجلس النيابي وتقرر بالفعل انه لا فرق بينهم وبين المسلمين في الحكومة - وما ذلك بمحال -



## ٣٤٦ خلاصة المسألة القبطية الأخيرة (المنار ج ٥ م ١١)

فاني اشهد للقبط بأنها أرق طوائف الشرق الأدنى في السياسة والاجتماع وجميع مقومات الحياة المليّة لا أقرن بها تركيا ولا عريا سوريا ولا غير سوري ولا أرمنيا بل ولا يهوديا . ويتبع هذه الشهادة انها تكون احق في الواقع ونفس الامر بالحكم في البلاد ، وتُعذر في التشوّف الى الاستقلال ، وتكون مصيبة في تسمية نفسها « امة » ، وحقيقة بان تكون في المستقبل ذات دولة ، ويقال انها تطمع في ذلك فان صح ما قيل كان برهاناً على علو هممتها وثقتها بنفسها في وحدتها

وخلاصة القول ان طائفة القبط قامت تطلب مطالب لنفسها من حيث هي امة ومن حيث هي صاحبة الحق في حكم البلاد وظهر انها فيه متكافئة متضامنة متحدة فناقشها افراد من المسلمين بصفتهم الشخصية لا باسم حزب من الاحزاب ولا جمعية من الجمعيات ووافقها بعض آخر كما وافقها الاحزاب وهي مع ذلك تنسب مناقشة الفرد الى الحزب او الى الامة . وقد استعمل بعض الكتّاب من الفريقين الهجر والسباب ، والتنازع بالالقاب ، فكانوا فيه سواء ، الا ما هو من صناعة البلاء ، ولكن القبط تطلب ان يعتذر لها الجميع عن الافراد ، وهي لا تتنذر للجميع عما تقول بلسان الجميع ، فاذا قلنا ان الفريقين قد عادا في الاهانة فتساقطا فليس لاحد حق في ذلك على آخر بقي معناه انه ليس في البلاد وطنية حقيقية ، وأنه لا يزال يطلب على الفريقين نزع الرابطة الدينية ، (وان تنصل من ذلك كل منهما) وأن هذه الحركة أضعفت ما قام بعض الأحزاب والافراد ، من الدعوة الى المساواة والاتحاد ، وان القبط أعرق في النزعة المليّة ، وابتعد عن حقيقة الوطنية ، اذ من مقتضى الوطنية ان لا يطلبوا لأنفسهم شيئا من حيث هم قبط وان لا يسموا انفسهم امة وأن لا يتعصب بعضهم لبعض في المصالح والاعمال ، كما يعرف كل احد منهم الآن ، وأن يرضوا بما تختاره الحكومة من التدرج في نقل البلاد من حال الى حال ، أو يكتفوا بربط رغائبهم الى وزيرهم الناصح لهم ، الغيور عليهم ، المتفاني في ترقيتهم ، وهو لا يدع فرصة يتمكن فيها من اعطائهم حقا جديدا الا ويتهزها اتهازا ، ويجعلها سيفا في يده لا عكازا

واذا كان الأمر كذلك في الوطنية ، وفي هذه الحركة القبطية ، فما هو تأثيره

(المنار ج ٥ م ١١) هل مصر دار اسلام حكومتها اسلامية ام لا ٣٤٧

في رغبة المسلمين وهي المجلس النيابي وفي رغبة القبط وهي نيل ما بقي من أعمال الحكومة بين الوزارة والقضاء كالمديرية ومأمورية المركز ؟ ؟  
اما الأول فمن الجلي الواضح ان ضعف الوطنية ، لا يقتضي ان تبقى حكومة البلاد استبدادية ، لأن حكومة الشورى أبعد من الحكومة الشخصية المطلقة عن الظلم غالباً ، ولذلك فرح مسلمو روسيا بإنشاء مجلس النواب (الدوما) في حكومتهم على قلوبهم في جانب الروس المشهورين بالتعصب . على انه إذا فرض ان الحكومة الشخصية المطلقة خير للقط من جهة التمتع بالوظائف فان ذلك الحظ الذي يصيب افراداً من فئة قليلة في الأمة الكبيرة لا يصلح مرجحاً لعدم ترقية حكومتها لأن ذلك ترجيح للأفراد القلائل على الجمهور الكبير فهو من قبيل ترجيح المصلحة الخاصة على المصلحة العامة

وأما الثاني فإذا فرضنا ان حكومة مصر خرجت عن كونها إسلامية والبلاد عن كونها دار إسلام فمن السياسة والحكمة في الادارة ان لا يكون القبطي الآن مديراً في مديرية فيها مئات الألوف من المسلمين وليس فيها إلا آحاد الألوف أو المئين من القبط وان ينتظر في ذلك تكون الوطنية الحقيقية ، التي تبرز فيها جميع العناصر المصرية ، فلا ينزع احد منها الى الامتياز بجنسه ونسبه ، ولا بدينه ومذهبه ، فان استعجلنا فجعلنا القبط مديرين لامور المسلمين ، والخال على مانع منهما ، او ما يدعي كل منهما ، فاننا نكون قد أثرنا العدوان ، وأرثنا الأضعاف ، ووضعنا في طريق الوطنية سداً لا يُدك ولا يُظهر ، وعقبة لا نزول ولا تقهجم ، او قدمنا النتيجة على المقدمات ، وطلبنا الثمرة ، قبل خروج الشجرة ،

فالمعقول إذاً ان تكون حركة القبط الجديدة مبعدة لهم عن مطلبهم الظاهر ، ولكن ربما لا تكون مبعدة عن غرضهم الباطن ، والله أعلم بالسرائر ، وانما نحن نحكم بالظواهر ، وهذا ما رآه الكاتب فيه من الصواب ، فإن تبين له انه مخطئ فيه يادر الى المتاب ، واستغفر ربه وخزراً كما وأُنا

# فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتاونا ههنا الباب لا جابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسم الناس مائة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويبلده وعمله (وظيفته) وله ههنا ذلك ان يرزالي اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماعده مناسخرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا ولن ينفذ على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا حظ صحيح لافضاله

## بحث ما ومن وتفسير سورة الكافرين ١٠٦

(س ٥) من محمد حبيب افندي عامروكيل تلغراف (بليس — شرقية)

حضرة العلامة المفضل صاحب المنار

بعد السلام والتحية نرجوكم ايضاح معنى لفظة « ما » وما تشير اليه في قوله عز وجل — لا اعبد ما تعبدون ولا اتمتع بعبادون ما اعبد — فإني إن أعطيها حكم غير العاقل كقاعدها النحوية استحال ذلك على المولى سبحانه وتعالى وإن أعطيها حكم العاقل فالأصنام وما كانوا يعبدون ليست بذئ عقل أفيدوني مأجورين والسلام

(ج) قالوا ان لفظ « ما » هنا أريد به الصفة اي «المعبود» واذا أريد بها الصنة تطلق على العاقل وغيره . وجوز بعضهم ان يكون اطلاقها على الله عز وجل بعد اطلاقها على الاصنام من قبيل المشاكلة لاجل التناسق في التعبير . ولعل السائل يعلم انه قل عن سيويه وغيره ان كون « ما » لما لا يعقل أغلي لا مطرد والشواهد عليه من التنزيل وكلام العرب معروفة . قال الزمخشري في الكشف : «وما» عام في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفاك قول العلماء « من لما يعقل » اه اي فاطلقوا «ما» على العاقل في نفس القاعدة التي ذكروا فيها ان « من » خاصة بالعاقل . وفي حاشية الامير على المقي بعد ذكر عبارة الكشف : قال الفتازاني اي يصح إطلاق ما على ذي العقل وغيره عند الابهام لاستفهام او غيره فاذا علم ان الشيء من ذوي العلم والعقل فرق بمن وما فتخص « من » بالعاقل و « ما » بغيره . وبهذا الاعتبار يقال ان ما لغير العقلاء . واستدل على اطلاق « ما » على ذوي العقول باطلاق



## (المارج ٥ م ١١) تفسير سورة الكافرين . والشفاعة والتوحيد ٣٤٩

أهل العرية على قولهم « من لما يعقل » من غير تجوز في ذلك حتى لو قيل « لمن يعقل » كانت لفوا بمنزلة ان يقال : الذي عقل عاقل . فان قيل كان الواجب هنا ان يفرق بما ومن لان ما يعقل معلوم انه من ذوي العلم . قلنا نعم لكن بعد اعتبار الصلة أعني « يعقل » . واما الموصول نفسه فيجب ان يعتبر مبها مرادا به شيء ما ليصح في موقع التفسير بالنسبة الى من لا يعلم مدلول « من » وليقع وصفه يعقل مفيدا غير لغو . ومحصله انك ان لاحظت العاقل من حيث انه عاقل استعملت فيه « من » وان لا حظته من حيث انه شيء ما استعملت فيه « ما » كما تقول : ما لانسان ؟ اه وانت تعلم ان ( ما ) في السورة ليست لبيان ان مدلولها عاقل او عالم بل لبيان انه شيء معبود فاستعمل فيه اللفظ العام الذي تفسره الصلة

هذا . انني رأيت بعض الناس لا يفهمون معنى السورة وقد سألتني غير واحد بالمشافهة عن معنى ما فيها من صورة التكرار فأجبت ان اورد هنا ما كتبه الاستاذ الامام في تفسيرها تمة للفائدة وهو :

«الكافر هو المعاند الجاحد الذي إذا رأى ضياء الحق أغمض عينيه ، وإذا سمع احرف من كلمته سد أذنيه ، ذلك الذي لا يبحث في دليل بعد عرضه عليه ، ولا يذعن بحجة إذا اخترقت فؤاده ، بل يدفع جميع ذلك حبا فبا وجد نفسه فيه مع الكثير من حوله ، واستند في التمسك به إلى تقليد من سلفه ، فهذا الصنف هو الذي قال الله فيه (٨: ٢٢) ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ٢٣ ولو علم الله فيهم خيرا لأسمهم ولو أسمهم لتولوا وهم معرضون ) . بعض هذا الصنف بل الغالب من أفرادهم يقول للداعي إلى الحق أو يحدث نفسه ليلهيها عن فهمه : الام يدعونا ؟ إلى الله فنحن نعتقد به ؟ إلى توحيدنا فنحن نوحده ؟ وغاية ما في الأمر نتخذ شفعا اليه ، نسأله بحقهم عنده أو بمكاتبتهم لديه ، إلى عبادته فنحن نركع ونسجد له ؟ وغاية ما عندنا زيادة على ذلك أننا نعظم أولياءه وأهل الشفاعة عنده ونتوسل اليهم ليتوسلوا اليه . هذه وساوسهم وهذه أمانيتهم فأراد الله سبحانه أن يقطع العلاقة بينهم وبين ما عليه الداعي إلى الحق صلى الله عليه وسلم بأصرح ما يمكن أن يصرح به فقال له (١ قل يا أيها الكافرون ٢ لا أعبد ما تعبدون ) أي ان الاله الذي تزعمون

أنكم تعبدونه ليس هو الذي أعبده لأنكم أنما تعبدون ذلك الذي يتخذ الشفاء أو الولد أو الذي يظهر في شخص أو يتجلى في صورة معينة أو نحو ذلك مما تزعمون وإنما أعبد إلهاً منزهاً عن جميع ما تصفون به إلهكم (٣) ولا أتم عابدون ما أعبد أي أنكم لستم بعابدين إلهي الذي أدعوا إليه كما تزعمون فإنكم زعمتم أن الذي تعبدونه يتقرب إليه ، بتعظيم الوسائط لديه ، فتوسلتم بها إليه ، وتعتقدون أنه يقبل توسطها عنده ، فهذا الذي تعبدونه ليس الذي أعبد فلماذا لا تعبدون ما أعبد بل تمصونه وتخالقون أمره . ثم لما كانوا يظنون أن عبادتهم التي يؤدونها أمام شفعايتهم ، أو في المعابد التي أقاموها لهم وبأسمايتهم ، أو يؤدونها لله في المعابد الخاصة به أو في خلواتهم ، وهم على اعتقادهم بالشفاء — عبادة لله خالصة وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضلهم في شيء ، نفى أن تكون عبادته مماثلة لعبادتهم وأن تكون عبادتهم مماثلة لعبادته فقال ( ٤ ) ولا أنا عابد ما عبدتم ) فما هذه مصدرية وليست بالموصلة مثل التي تقدمت أي ولا أنا عابد عبادتكم ( ٥ ) ولا أتم عابدون ما أعبد أي ولا أتم عابدون عبادتي . فمفاد الجملتين الأوليين الاختلاف التام في المعبود ومفاد الجملتين الأخريين تمام الاختلاف في العبادة فلا معبودنا واحد ولا عبادتنا واحدة لأن معبودي ذلك الإله الواحد المنزه عن الندب والشفيع ، المتعالي عن الظهور في شخص معين ، أو المحابة لشعب أو واحد بعينه ، الباسط فضله لكل من أخلص له ، الآخذ قهره بناصية كل من نابذ المبلغين الصادقين عنه ، والذي تعبدونه على خلاف ذلك . وعبادتي مخلصه لله وحده وعبادتكم مشوبة بالشرك مصحوبة بالغفلة عن الله تعالى فلا تسمى على الحقيقة عبادة فأين هي من عبادتي ( ٦ ) لكم دينكم ) دينكم مختص بكم لا يتعداكم إليّ فلا تظنوا أنني عليه أو على شيء منه ( ولي دين « » ) أي ديني هو دين خاص بي وهو الذي أدعوا إليه ، ولا مشاركة بينه وبين ما أتم عليه ، ولا يخفى أن هذا المعنى الذي ينناه هو ما يهدي إليه أسلوب السورة الشريفة خصوصاً هذه الآية الأخيرة « لكم دينكم ولي دين » فإنها صريحة في أن المراد نفى الخلط المزعوم . وما دلت عليه السورة هو ما دلت عليه آية ( ٦ : ١٥٩ ) أن الذين فرقوا

( ٥ ) لفظ « دين » مضاف إلى ما ، المتكلم المحذوقه لأجل الوقف

## (المناج ٥ م ١١) النقوط . حديث من زار قبر والديه ٣٥١

دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) أي لا علاقة بينك وبينهم لا في المعبود ولا في العبادة. وأما ما قيل من غير ذلك فإن صح شيء، مما ورد فيه فأحمله على معناه مستقلاً عن معنى السورة ولا تغتر بكل ما يقال فأفضل ما تفهم هو أقرب ما يفهم والله أعلم اهـ

### ❦ النقوط ❦

(س ٦) ومنه :

حضرة العلامة المفضل صاحب المنار الفراء . بعد السلام والتحية — أرشدونا أرشدكم الله : « هل ما يسمى ( النقوط ) المتعارف والمستعمل بين أفراد الأمة المصرية في الأفراح وما شابهها سواء كان ذلك بالنقدية أو ما يقوم مقامها محلل أم محرم وما الدليل أفيدونا مأجورين » :

(ج) كل ما يندل من لمال بالرضا والاختيار تبرعاً فلا حرج على باذله ولا على المبدول له إلا أن يقصد به الإغاة على عمل محرم كالفسق والفساد في الأرض والنقوط لا يقصد به شيء من المحرمات فيما نعلم وإنما هو إكرام من قبيل الهدية والاصل في جميع التصرفات المالية الإباحة فالقول به لا يحتاج الى الدليل وإنما يستدل على المحرم لأن التحريم خلاف الاصل

### ❦ حديث من زار قبر والديه يوم الجمعة ❦

(س ٧) من الشيخ احمد شرف الدين بالازهر

حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا المحترم

سلام على حضرتكم ورحمة الله. اما بعد فقد جمعتي وجماعة من اكابر علماء الازهر الشريف مجلس فسمعت منهم حديثاً لم اسمعه من قبل وحيث لم ار عليه بلاغة سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم ولحضرتكم سعة اطلاع على السنة الصحيحة اردت عرضه على مسامع سيادتكم حتى اذا كان صحيحاً أيدتموه ونشرتكم ذلك بمناركم المضيء وان كان ضعيفاً او غير حديث اوضحتم سبيله ولكم الفضل والحديث هو ( قال صلى



(التاريخ ١١ م ١١)

زيارة الحرم النبوي

٣٥٢

الله عليه وسلم من زار قبر والديه يوم الجمعة فكأنما حج ومن زار أحدهما فقد أتى بعمره) وإذا صبح هذا فلا لوم إذا على مزاحمة النساء للرجال في زيارة القبور لأن كلا يريد أن يحج

(ج) الحديث ظاهر الوضع ولم أر من خرجه بهذا اللفظ وقد علمت أن من علامات الحديث الموضوع بناء الثواب الكبير على العمل القليل . وقال في الفوائد المجموعة حديث « من زار قبر والديه أو أحدهما يوم الجمعة غفر له » في إسناده وضاع وله شاهد في إسناده ضعف . وروي « من زار قبر أبيه أو أمه أو عمته أو خاله أو أحد أقاربه كتب له حجة مبرورة » ولا أصل له اهـ

ولعله يعني بحديث الشاهد « من زار قبر والديه أو أحدهما في كل يوم جمعة غفر له وكتب براء » لما فيه من الزيارة عزاء في الجامع الصغير إلى الحكيم الترمذي عن أبي هريرة وعلم عليه بالضعف وفي إسناده محمد بن النعمان مجهول وشيخه يحيى بن العلاء الرازي البجلي متروك بل قال الإمام أحمد أنه كان يضع الحديث فهو موضوع لضعيف ولا شك عندي في أن كل ما روي في هذا المعنى موضوع اختلقه المخلقون بعد اعتياد الناس زيارة قبور الأقربين في أيام الجمع ولم يكن ذلك من سنة النبي ولا أصحابه في شيء

### زيارة الحرم النبوي واستئذان ملك الموت على النبي (ص)

(س ٨ و ٩) من محمد أفندي حلمي الكاتب الأول لمركز المسلية (السودان)

حضرة سيدي الحبيب النسيب الفاضل الأقم العلامة الكامل السيد محمد رشيد رضا حفظه الله . عليكم منا السلام والرحمة والبركة والاكرام وبعد فأرجو من فضلكم وكرم أخلاقكم المشهورة الإجابة على السؤالين الآتين وأرجو أن كان سبق لسيادتكم التكلم عنهما في مجلدات غابرة أن نجيبوني عليهما وأكون ممنونا جداً لو تفضلتم وتكرمتم بدرجتهما في أول عدد لاهية لزومهما عند الجمهور خصوصاً في هذه الأصقاع ولا خلاف بأن فضيلتكم أصبحت مشهورين بالعلم والفضل في جو علوم العربية بل صرتم لنا من أركان الإسلام والله على ما أقول وكيل وهو حسبي ونعم الوكيل

## (المنار ج ٥ م ١١) زيارة المسجد النبوي . استئذان ملك الموت ب وفاة النبي ٣٥٣

س « ١ » هل زيارة الحرم المدني سنة وهل كل احد مكلف بزيارته بعد الحرم المكي

س « ٢ » هل ملك الموت قد استأذن سيدنا محمداً في قبض روحه الشريفة وكيف كان ذلك وهل صح انه لم يسبق له أن استأذن على أحد قبله كما يزعمون أو يذيعون ؟ هذه هي استلتي ياسيدي وقد افقت المجادلين لي في السؤال الاول تهلا عن اغاثة اللفان للامام الحجة ابن القيم فلم يقنعوا واما السؤال الثاني فلم أتكلّم عنه بشيء لعدم معرفتي حقيقته ولم اعثر في الكتاب المذكور على شيء بخصوصه وجميع المجادلين لي ابوا ان يقتنعوا حتى ينظروا جوابكم بالمنار لا اعتقادهم فيه وهم من الاهالي والمستخدمين . ومن المستخدمين مشتركون في مجتكم الزاهرة ولكن كلفوني أن اكتب انا وعلى اي حال فانا ممنونين وتجدنا منتظرين بفارغ الصبر افندم

### زيارة مسجد الرسول (ص)

أما الجواب عن الاول فهو ان زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم مندوب اليه لا مفروض على المسلمين كالحج كما يتوهم العوام . وحسبك في الرغبة فيه قوله (ص) « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام » رواه احمد البخاري ومسلم وغيرهم من حديث ابي هريرة . واحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر وغيره . وقوله « لا تشد الرجال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » رواه احمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن من حديث ابي هريرة وابي سعيد الخدري . ورواه غيرهم عنهما وعن غيرها

### استئذان ملك الموت على النبي (ص)

وأما الجواب عن الثاني فهو أن الحديث في ذلك لا يصح ولا عبرة بسكوت بعض أهل السير عليه ولا بذكره في بعض الخطب التي قلما تخرى أصحابها الصحاح من السنن والآثار بل أولع أكثرهم بالواهايات والموضوعات

(المنار ج ٥) (٤٥) (المجلد الحادي عشر)

## ٣٥٤ الرد على كتاب لورد كرومر (المنارج ٥ م ١١)

روى حديث استئذان ملك الموت على النبي صلى الله عليه وسلم ونخيره بقبض روحه الشريفة الطبراني في المعجم الكبير عن جابر وابن عباس في حديث طويل قال المحدثون انه منكر في إسناده عبد المنعم بن ادريس البجلي القصاص عن أبيه عن وهب بن منبه . قال الامام أحمد كان يكذب على وهب بن منبه . وأبو إدريس متروك أيضاً قاله الدارقطني . ورواه أيضاً من حديث الحسين بن علي وهو منكر أيضاً في سنده عبد الله بن ميمون القداح قال البخاري ذاهب الحديث . وقال أبو حاتم متروك

## الرد على كتاب اللورد كرومر

صاحب الحق لا يسكت عنه وإن طال عليه الأمد وأنا سنشر في المنار بعض ما كتبه في دفع هجمات اللورد فيما كتبه عن الاسلام ونودع جميع ما كتبه في مصنف خاص . ونعتمد في أقواله على ترجمة المؤيد (مع تنقيح ما في العبارة) فنبداً بعبارة ثم تقسم القول ونرد على كل قسم منه بالتفصيل

### ﴿ القسم الثاني ﴾

« كلامه في الاسلام والمسلمين »

قال اللورد في سياق الكلام في المقابلة بين الانكليزي والمصري ما ترجمته : « قلت فيما تقدم ان التقاليد الدينية هي من جملة الموانع الكائنة بين الانكليزي والمصري فان الانكليزي على كونه أحد أفراد العائلة الاوربية من جهة التمدن العمومي يحاول أكثر من كل أوربي آخر أن يصل الى اسمى درجات الرقي من التمدن المسيحي أي انه يحاول أن يدخل نظام آداب مسيحي صريح ( في المعاملة ) ويجعله قاعدة للعلاقات بين الرجل والآخر . يحمله على ذلك تلك المبادئ القديمة التي جاءت من أسلافه والدم البيوريتاني الذي لا يزال يجري في عروقه . « ومن الجهة الاخرى يرى المصري متمسكاً كثيراً بدين الاسلام وهو التوحيد الشريف الذي ينبو فيه الايمان الى درجة قصوى عن الوطنية في البلدان الشرقية



## (المنارج ٥ م ١١) الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو نظام ٣٥٥

وهو وسيلة للاتحاد العام بين جميع المسلمين من دلهي الى فاس ومن الاستانة الى زنجبار اذ يتحولون للصلاة نحو منبع دينهم وهو قبلتهم .

«فما هي القواعد الاساسية لهذا الدين الذي أثر تأثيراً عظيماً في الجنس البشري؟ انها مبينة في القرآن الشريف وقد شرحها العلماء من جميع الامم بلغات كثيرة ولكن عظمتها الاصلية وسهولتها لم يبينها بأكثر بلاغة مما بينها به اتباع النبي الاولين الذين انطرحوا عند قدمي ملك الحبشة المسيحي يطلبون حمايته لهم من اعتداء عرب قرش إذ قالوا «أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأثي الفواحش وتقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه واماته وعفافه فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع (أي نترك) ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الأحجار والأوثان وأمرنا ان نعبد الله وحده أمرنا بالصلاة والزكاة والصيام وأمرنا بصدق الحديث وإداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزر وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصداقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به »

« هذه هي قواعد الدين الاسلامي . ان العمل بهذه القواعد قد أفاد مئات الملايين من الذين اعتنقوا الاسلام - وخصوصاً الفقراء بينهم - عزاء روحيا فضلا عن النعم المادية من خيرات هذا العالم وأمل الخلود في العالم الآتي . ولا ريب أن الهيئة الاجتماعية الاصلية تستفيد كثيرا من اعتناق الدين الاسلامي . وقد قال السير جون سيلي عما عرفه بقوله « قوة الدين التي تنشئ الممالك » ما يأتي

« أينما وجدت قبيلة بربرية قد رفعت نفسها يوما ما حتى ارتقت عن حالها الهمجية ونالت بعض التقدم تجد أنها فعلت ذلك عادة بواسطة اعتناقها الدين الاسلامي » اهـ

« ولسوء الحظ نرى ان المصلح العربي العظيم الذي قام في القرن السابع (يريد به محمداً صلى الله عليه وسلم) قد اضطرته دواعي مركزه يومئذ الى القيام بأكثر من تأسيس دين . انه حاول ان يوجد نظاماً اجتماعياً . فكانت النتائج لهذا النظام هي التي وصفها المستر ستالي لاين بول - وهو الرجل الذي راقب مراقبة دقيقة ما في الاسلام من

## ٣٥٦ ما يتقده اللورد وغيره من نظام الاسلام (المناج ١١٠٥)

وجوه القوة والضعف - إذ قال « ان الاسلام عظيم من حيث كونه ديناً وقد علم الناس أن يبدوا لها واحداً عبادة طاهرة وقد كانوا من قبل يبدون آلهة كثيرة عبادة غير طاهرة ولكن الاسلام اخفق اخفاقاً كاملاً بصفته نظاماً اجتماعياً »

قال لورد كرومر : ان الاسباب التي اوجبت فشل الاسلام من حيث هو نظام اجتماعي متعددة ( أوطا ) وأعظمها مكانة ان الاسلام يجعل المرأة في مركز منحط جداً . ( ثانيها ) ان الاسلام بمراعاته التقاليد المحيطة بالقرآن أكثر من القرآن نفسه جمع بين الدين والشرع فجعلها جزءاً واحداً غير قابل للتفريق او التغيير فتج عن ذلك ان تلاشي من النظام الاجتماعي مافيه من المرونة . فان المصري حتى الآن اذا لجأ الى الشرع في امور الوصاية فان قضيته يحكم بها بمقتضى المبادئ الضيقة التي وضعت لما يوافق احوال الهيئة الاجتماعية الاولى في شبه جزيرة العرب في القرن السابع

« ومنذ سنوات قليلة أي سنة ١٨٩٠ أوضح مفتي الديار المصرية الاكبر كيف تعاقب عصابات اللصوص التي ثبت ارتكابها لجريمة الاعتداء بالسلاح ليلا على احدى القرى فقال انه يمكن ان يعاقب المجرم على ستة وجوه مختلفة فإما ان تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ثم يقطع رأسه او يشوه جسمه كما تقدم ثم يصلب بعد ذلك او ان يقطع رأسه فقط او ان يصلب فقط أو أن يقطع رأسه أولاً ثم يصلب بعدئذ . وأفاض المفتي في تقريره عن كيفية صلب المجرم وهو ان يربط الرجل الى صليب في شكل معين ثم يوخز بحربة في الجانب الايسر وتبقى الحربة وهي تحز في محل الجرح الى أن يموت

« ثم ان بعض المسلمين قد عمدوا بنية حسنة الى تشويه الشرع المقدس . اذ اقلقوا خواطرم في اختراع وسائل يريدون فيها ان يبينوا ان مبادئ القرن السابع الشرعية ونظامه الاجتماعي يمكن تطبيقهما على مجربات القرن العشرين المدنية ولكن العادة المبنية على القانون الديني مؤيدة بالمغالاة في اكرام الشارع الاصل قد قيدت جميع المتعلقين بالاسلام بهيد من حديد لا سبيل الى النجاة منه . ولقد قيل « ان الانسان عاش في القرون الوسطى ملفوفاً بقلنسوة الكاهن » فالمسلم الصحيح في الايام الحاضرة ملتف بالشرع اكثر من التفاف الناس بالقلنسوة في القرون الوسطى .

## ( المارج ١١ ) التسامح والتعصب في الاسلام والنصرانية ٣٥٧

( ثالثها ) ان الاسلام لا يشجع على الرق ولكنه يتساهل في الاسترقاق . فقد قال السيد ( امير علي ) « إن محمداً وجد تلك العادة سارية بين الوثنيين من العرب فحفض من هذا الشر » ولكنه عجز من الغائنه تماماً أما أتباعه فقد تناسوا عدم تشجيعه واجمعوا على اباحة الرق وجعله عنواناً لسلوكهم . ويليق بنا ان نقول في هذا المقام ان من الامور التي توجب الخجل على المسيحي انه لم يكتف قبل الآن بان يستعبد العبيد بل ارتكب اقبح من ذلك فكان يتخطفهم على ان الديانة المسيحية لم توافق مطلقاً على الرق . وقد اشتهر أخيراً ان الاسلام دين خال من التسامح وهي شهرة صحيحة من بعض الوجوه ولكن لا بد من تحديد وايضاح لهذه الهممة العامة . نعم ان اتباع النبي شهِروا الحرب على الذين اعتبروهم من الكافرين وقد علمهم دينهم انه يجوز استرقاق غير المؤمن متى اخذوه اسيراً في الحرب وزد على ذلك أن الخصام الطائفي كان كثيراً فقام السنيون في وجه الشيعيين واضطهد السنيون الوهابيين بدون شفقة — على أن الخروج عن الاسلام يعاقب عليه بالموت وقد كان هذا العقاب ينفذ فعلاً منذ سنوات غير كثيرة . ونرى من الجهة الأخرى أن تورج الاسلام لم يشوهد شيئاً من مثل تاريخ ديوان التفتيش وزد على ذلك ايضاً أن المسلم اذا لم تؤثر في نفسه طوارئ خاصة مثيرة لعواطفه فهو لا يتأخر عن أن يعامل اليهودي والمسيحي بتساهل يشوبه شيء من الاحتقار . ففي قرى الصعيد لبث الهلال والصليب والجامع والكنيسة جنباً إلى جنب سنوات كثيرة

ومع ذلك نرى الاسلام يميل الى بث روح عدم التساهل وانماء الحقد والاحتقار لا للمشركين فقط بل يشرك معهم جميع المؤمنين الذين لا يقولون إن محمداً هو رسول الله ( ثم أخذ يصف الاسلام فقال ) : « ان المسلم منذ قرون كثيرة ما برح يؤمر ان ينتقم لنفسه من أعدائه وأن يضرب من يضربه عينا بعين وسنابن وعليه مجدان الاسلام يختلف عن النصرانية في انه يغرس في العقول ان الانتقام والكراهية يجب أن يكونا أساساً للعلاقات بين الرجل والآخر بدلاً من المحبة والاحسان . ثم ان الاسلام يحدث بعضاً خاصاً للذين لا يقبلون الدين الإسلامي . يقول القرآن ( ٤٧ : ٤ ) فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتي إذا تخثموا فشدوا الوثاق ٧٠٠ يأبىها الذين



## ٣٥٨ كلمة الغازي . كره المصري للانكليزي ( المخرج ١١م٥ )

آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ٨ والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ... ١٢ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم )  
وقد علق اللورد على الآيات في ذيل الصحيفة قوله - « ومن الجهة الاخرى نجد في سورة البقرة قوله ( ٢ : ٢٥٦ ) لا إكراه في الدين ) فالأقوال المتناقضة الكثيرة وغير المتلائمة الموجودة في القرآن لا يمكن التوفيق بينها ولعل السبب في ذلك هو ان تعاليم محمد كانت مبنية في الاكثر على الحوادث الجارية وعلى أحوال شخصية في حياته » نعم ان محمدا انما أشار في طعنه على الكافرين بوجه خاص الى الوثنيين الذين أقاموا في زمنه في شبه جزيرة العرب ولكن الذين فسروا القرآن بعد ذلك جعلوا تلك المطاعن موجهة الى المسيحيين واليهود وهذا الذي يفهمه الآن جم غفير من المسلمين . أتست كلمة الغازي وهي اسمى لقب يطمع بأحرازه أي ضابط في جيش السلطان معناها : من يحارب في سبيل الاسلام والبطل الشجاع الذي يذبح كافراً ؟ ألا نجد ان كل عالم ألقى الخطبة في الجامع يستنزل غضب الله على رؤوس غير المومنين بصراحة واضحة في كل زمان وبصراحة تزداد كثيراً عند وجود ظروف تضرم شعلة التعصب ؟ . ألا يجب أن تعتبر كل بلاد غير اسلامية ودار حرب ، فتى علمنا ان مثل هذه المبادئ ما برحت تفرس في أذهان المسلمين كل القرون الماضية لا نجد باعثاً على الدهشة من نموروح عدم التساهل فيهم »

ثم قال بعد الامتنان على المصريين باعطاء الانكليزي لهم ما لا طيانهم وترقيته لعقولهم وآدابهم :

« ومع ذلك فان المسلم المصري - مع انه يكره الباشا التركي ويخافه الى حد أنه يدرك الفوائد التي أجزلها له الانكليزي ويعترف بسمو مداركه وكفاءته - فهو على كل ذلك لا يقد أن ينسى ان الانكليزي يلبس على رأسه برنيطة وهو يلبس طربوشاً أو عمامة . ومع انه يقبل المنافع بمزيد الارتياح فهو يذكّر دائماً ان اليد التي منحها ليست يد مسلم وهذا الامر يؤثر في نفسه أكثر من كون الانكليزي

## (المارج ١١ م ١١) الفرق بين المسلم والنصراني في العمل ٣٥٩

أجنيباً عنه . مهما بذل الانكليزي من وسائل التودد والعقل فهو عاجز عن هدم هذا الحاجز الحصين - ( وهنا نقل اللورد قول المستر بانري ) « الاسلام هو كل شيء للفلاح وهو يعتبر غير المؤمنين فئة قليلة حقيرة ولا يمنعه عن الفتك بهم وإعلان ميزة الاسلام الا حقيقة مكندة له هي أنه ليس في الامكان الفتك بهم الآن »

« وليس هذا وحده الخائل بين الفريقين . فانظر إلى البدع الرئيسية وحوادث العبادة الإلهية المقارنة للاسلام وما يعارضها في النصرانية . وابحث في النتائج التي تلي تحقير المرأة وقابل بين الشرقي الاسمر والغربي الايض في القوى العقلية والادبية والعادات والفنون وعلم البناء واللغة والملبس والأذواق تجد أن الفرق بين الفريقين أبعد مما بين الخافقين . حتى انك لتجد في أقل الامور شأناني اعمال الحياة باعثة غير محسوس ولا يعرف سببه من شأنه ان يدفع الشرقي إلى جهة مشاقته للغربي مع اتفاق أحوال الفريقين . فالمسيحي يتعلق باهداب أمل ان يبقى في السماء أولئك الذين راقهم في الارض وهذا الأمل من جمل مظاهر دينه وأكثرها عزاء له وأما اعتقاد المسلم بالخلود فيختلف اختلافا تاما عن اعتقاد المسيحي لان الحوريات اللواتي يرجو المسلم نيلهن في الجنة لم يسبق لهن وجود في هذا العالم . والمسيحي يصلي طالبا الحصول على بعض أمور أو ان يتمكن من اتمام أغراض معينة واما المسلم فهو على العموم يلفظ صلاة مرتبة معينة ويندر أن يطلب في صلواته طالبا معيناً

«المسيحي يصلي صلاته اليومية في الخفاء وأما المسلم فانه يصلي جهارا بين الناس وليس لديه شيء من الخجل الكاذب دون اعترافه جهارا انه معتمد على الله في جميع أعماله وأموره . قال المطران ستانلي بعد ان درس الاديان الشرقية « ان الله موجود عند المسلمين وجودا يندر مثله عندنا في وسط العجلة الغربية وما يشوبها من الارتباك »

«ومتى صام المسيحي فهو يعمل باعتدال نهارا وينام ليلا واما المسلم فهو في صيامه ينقطع عن الاكل والشرب والتدخين ولكنه اذا جاء الليل تمتع بكل ذلك بدون ضابط

## ٣٦٠ الفرق بين المسلم والنصراني في العمل (المنار ج ٥ م ١١)

ثم ان الديانة المسيحية تنشط الفنون وتستفيد منها وأما الديانة الاسلامية فانها تكسر الصور والتماثيل وهي تحرم الصور وصناعة النقش والنحت اذا كانت تمثل شخصا حياً وأما الموسيقى فلا يسمع لها صوت في جامع  
«قد يكون المسيحي نظيفاً بعض الأحيان اعتقاداً منه ان النظافة نافعة لصحته وراحته وعنده ان النظافة نبي التقوى ولكنه لا يوجد جامعة بين الامرين وأما المسلم فهو نظيف على شكل معين لان دينه يأمره بذلك

«ثم انظر الآن الى صفات الفريقين العقلية والادبية تجد الفرق بينهما ظاهراً»  
ثم بين فروقا أخرى بين المصري والأوربي والغربي والشرقي تحتل المناقشة ولكنه لم يستنبطها من الدين فتركها له الا قوله في انصاف الاسلام :  
« وعلى ذكر الشرقي وصفاته ورقة قلبه أقول ان ما يزعج السائح في مصر من معاملة الحيوانات بقساوة لا يزيد على ما يرونه في جنوبي أوربا ولعلها كما قال «لاين» في سنة ١٨٣٥ ليست غرساً منتظماً النمو ولكنها ناشئة عن معاشره الطبقات السافلة من الأوربيين فان الدين الاسلامي يوصي بالحيوان خيراً فقد قال بوسورت سميت : لا يوجد دين اهتم بحياة الحيوان أعظم من اهتمام الدين الاسلامي به فقد ورد في القرآن ( ٣٨:٦ وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون )

وكما انصف في هذه جاز وظلم في أخرى بعدها لكن عن سوء فهم لا سوء قصد فقد ذكر قدرة الاوربي على التنظيم واخضاع الحوادث ومناقشة الرؤساء ثم قال :  
« قابل هذه المزايا بما في الشرق من الضعف في التنظيم واعتقاده بالقضاء والقدر الذي يجعله قابلاً لما لا بد منه . وكذلك خضوعه لكل سلطة تتولى اموره »

ثم استشهد على ذلك بمثل حادثة « منتحجي » سكة الحديد التي ذكرناها في اول القسم الاول من الرد عليه . وذكر ايضاً انه سأل شيخ الازهر هل يعلمون الطلبة فيه ان الشمس تدور حول الارض ام العكس فاجاب بانه لا يدري . قال اللورد « وقد منعه أدبه الطبيعي عن التصريح لي برأيه في الكافرين كير وكوبرنكوس وتعاليمهما » الخ  
(الكلام بقية)



## القرآن والعلم

٣

﴿ تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي بوردها الأفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز ( ١ )

﴿ المسألة الثامنة ﴾

﴿ موت سليمان ﴾

قال الله تعالى « ٣٤ : ٤ فلما قضينا عليه الموت (أي على سليمان) ما د لهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » إعلم انه كثيرا ما يحدث ان الانسان إذا لحقه الموت فجأة عقب انفعال عصبي ومجهود جسماني يحصل له تيبس في الحال في جميع اجزاء جسمه بحيث يحفظ بعد وفاته هيئته وشكل جسمه قبل المات ويبقى على هذه الحالة من بضع ساعات الى يومين فأكثر وخصوصا اذا كان الجو باردا وتسمى هذه الحالة في كتب الطب باللغة الانكليزية Cadaveric Spasm اي تيبس الموت

ولذا يشاهد في بعض الحروب ان بعض العساكر يموت ويبقى واقفا مستندا على بندقيته كأنه حي الى ان يبدأ التعفن في الجثة فنزول يوستها وتسقط فالظاهر ان سليمان عليه السلام كان واقفا بعد مجهود جسماني عقلي مستندا على عصاه (منسأته) ففاجأه الموت فحصل له ما يحصل لغيره وبقي قائما كأنه لم يموت

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صديقي

(المجلد الحادي عشر)

(٤٦)

(المارج ٥)

فشاهدت الجن انه لا يبدي حراكا ولا يظهر عليه أنه يتنفس لعدم تحرك صدره فداخلهم شك في حالته وربما اجتمع على وجهه الذباب فلم يطرده عنه فازداد شكهم ثم دخلت فأرة (وهي من دواب الأرض) وأخذت تلعب حوله وأخيرا بدأت تقرض عصاه والجن الى ذلك ينظرون فيتعجبون ولكنهم خافوا أن يتركوا أعمالهم المكلفين بها أو أن يظهروا شكهم في حياته ولبثوا على هذه الحالة مترددين بضع ساعات او يوما او يومين

فلما حركت الفأرة العصا التي أخذت تقرضها عن موضعها قليلا اختل التوازن فسقط على الأرض وبذا أيقنت الجن أنه كان ميتا وان اشتباههم كان في محله . ولو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا لحظة بعد وفاته قائمين باشغالهم الشاقة ولعرفوا الوفاة حين حدوثها بلا تردد . ولفظ لبث يستعمل في الزمن القليل والكثير كقوله تعالى (٢ : ٢٥٩ قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام)

فهذا هو التفسير الصحيح لهذه الآية الذي ينطبق على العلم ولا يوجد في تاريخ سليمان ما ينافيه

### ﴿ المسألة التاسعة ﴾

( الجسد الذي ألقى على كرسي سليمان )

قال الله تعالى ( ٣٨ : ٣٤ ) ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم اناب ٣٥ قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي إنك أنت الوهابُ » معنى هذه الآية ان سليمان لما ورث أباه داود في ملكه سأل الله ان يرزقه ولدا ليرثه من بعد موته وليبقى الملك في نسله فاخبره الله تعالى ولم يجب دعاءه في اول الامر الا باعطائه ولدا ناقص الخلقة ( كأن يكون لارأس له ولا منخ أو نحو وذلك مما يحصل أحيانا لبعض المولودين ) ولما كان هذا المولود أقرب الى الميت منه الى الحي المدرك سمى الله جسدا كأنه لا روح له فلما وجد سليمان أن من رزقه الله ليخلفه في كرسيه عدمه خير من وجوده ضجر وتألم ولم يشكر الله على كل حال

ولكنه لم يلبث الا قليلا ورجع الى الله يستغفره على ما فرط منه ويرجوه العفو عن عدم رضائه بما قضاه تعالى وقال « رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي » اي حيث إنك لم ترزقني بمن يرثني في هذا الملك فوسعه علي وزدني سلطانا ومتفني بما لا يصل اليه أحد من الملوك بعدي حتي تعوضني بذلك ما حرمتني من النسل الصالح فاستجاب الله دعاءه وسخر له الريح وسلطه على الجن والانس والطير وبعد ذلك رزقه الله تعالى أيضا بمن يرثه ( وهو ابنه رجعم ) ولكنه كان ضعيف العقل سيئ التدبير رديء السياسة حتى خرجت عليه عشرة من اسباط بني اسرائيل ووقع الاتقسام بينهم في عهده

فما تقدم تعلم أن قوله تعالى « وألقينا على كرسيه جسدا » معناه ذاك المولود الناقص وهو أول من رزقه وقال ألقيناه على كرسيه لأنه بمنزلة ولي عهده كما يقولون الآن وتقول العرب « ألقى الليلة على كرسي الفرس مولود » مثلاً اذا رزق كسرى بالواد الذي يرثه في ملكه ويجلس على كرسيه من بعده

وهذا التفسير هو الذي كان يفهمه العرب من هذه الآية ولذلك ورد في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيها ما يقرب منه ولو لا حشو مفسرينا الاسرائيليات في تفسير الكتاب العزيز ما فهم أحد منها خلافة فاحذر مما قالوه ولا تعبا به فانه مثار لشبهات كثيرة

### ﴿ المسألة العاشرة ﴾

( اللؤلؤ والمرجان )

قال الله تعالى ( ٥٥ : ١٩ رَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ٢٠ مِنْهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ٢١ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٢ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ) فقال كثير من الناس إن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحر المالح ولا يوجد منهما شيء في البحر الحلو واعلم أن اللؤلؤ يخرج من كثير من الأنهار ويوجد في بلاد أستراليا أنهار مشهورة باستخراج الصدف واللؤلؤ منها وهالك اسماء بعضها :

نهر هنتر Hunter وكلارنس Clarence وكوك Cook's وكليد Clyde



وغيرها وهي موجودة في ولاية ويلز الجنوبية الجديدة New South Wales من أستراليا

## المائة الحادية عشرة ﴿

( السما في القرآن )

السما من سما أي ارتفع فالسما في اللغة كل مرتفع فسقف البيت سماء والسحاب سما والكواكب سماوات والفرغ الانهائي الذي فوق رؤوسنا هو سما أيضاً وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الشريف بعدة معاني تعرف من السياق وتفسر في كل مقام بحسبه وإن اشتركت كلها في معنى الارتفاع والسمو . وكذلك يوجد في اللغة العربية ألفاظ كثيرة تستعمل في معاني مختلفة لا يعينها إلا السياق . مثلاً لفظ نجم يستعمل في الكوكب وفي النبات فتال الأول (١:٥٣ والنجم إذا هوى) ومثال الثاني (٦:٥٥ والنجم والشجر يسجدان) والمقام هو الذي عين كلام من المعنيين ويسمى هذا النوع من الألفاظ بالمشترك

إذا عرفت ذلك فاعلم أن لفظ السما إذا ورد في القرآن يجب أن يعرف معناه من المقام ويجب أن لا يحمل في جميع المقامات على معنى واحد مثلاً في قوله تعالى (١٠:١٦ أنزل من السما ماء) معناه السحاب . ولذلك قال في آية أخرى (٤٣:٢٤ ألم تر أن الله يُمْزِج سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق (أي المطر) يخرج من خلاله) الآية وفي قوله (١٥:٢٢ فليمدد بسبب إلى السما) يعني سقف البيت وفي قوله (٧:٥٥ والسما رفعها ووضع الميزان) معناه الكواكب والألف واللام هنا للجنس وكذلك في قوله تعالى (٦:٥٠ أفلم ينظروا إلى السما فوقهم كيف بنيناها) أي جعلنا أجزاء كل منها متماصة ثم هي في مجموعها متجاذبة بعضها إلى بعض كالبنيان يشد بعضه بعضاً (وزيناها) بأن جعلنا أشكالها جميلة مستديرة وإن بعضها مع بعض لها منظر بهيج ثم أضأناها بالأنوار الذاتية أو المنعكسة عليها من غيرها (ومالها من فروج) أي شقوق فلا ترى كوكباً منها به كسور أو منشقة أجزاؤه أو متفرقة فهو ككتا كيد لقوله بنيناها وفي قوله تعالى (٥:١٧ وتهدى زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) السما الدنيا معناها الجو

أو الفراغ المحيط بنا القريب منا وهو المزين بالكواكب وأما ما وراءه من الفراغ اللانهائي فليس به زينة ولا شيء وجعلناها رجوماً للشياطين باقتضاض الشهب منها لا هلاكهم كما في قوله (٣٧: ١٠) إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وهذه المسألة لا يوجد في العلم الطبيعي الآن ما يصدقها ولا ما ينفيها وغاية الأمر أنها غير معروفة له فنحن نصدقها لإتيان النبي الصادق بها وقد ثبتت نبوته عندنا بالبراهين القاطعة كما أوضحناه في مقالات الدين في نظر العقل الصحيح

وقوله (٦٧: ٢) خلق سبع سموات طباقاً) المراد به الأجرام السبعة العالوية المشهورة التي كانت تعرفها العرب وتراها بأعينها وهي القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل . وإنما خص هذه السبعة بالذكر لأنها أكبر ما تعرفه العرب وأكبر ما تشاهده وإلا فالأجرام السماوية العظيمة أكثر من سبعة

وليس في القرآن الشريف ما يدل على الحصر . على أن بعض علماء اللغة قالوا إن العرب إذا أرادت المبالغة في العدد تأتي بلفظ سبعة وما ركب منها كالسبعين والسبعائة واستشهدوا على ذلك بنحو قوله تعالى في وصف جهنم (١٥: ٤٤) لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) فإن المقام مقام تهويل لا يناسبه إلا ذكر العدد الكبير . وإن لم يكن لجهنم سوى هذه الأبواب السبعة اقتضى انقضاء المقام عدم ذكر العدد هنا بالمرة لقلته فلو لم يكن لفظ السبعة يستعمل عندهم في مطلق الكثرة لما ذكره هنا ولذلك قال أئمة المفسرين في مثل هذه المواضع إن العدد لا مفهوم له ومثل ذلك قوله تعالى (٣١: ٢٧) ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله)

قد يقول قائل ما بالآية تذكر هنا في تفسير السموات السبع القمر والشمس مع أن القمر تابع للأرض والشمس هي مركز العالم والسيارات تدور حولها ومنها أرضنا هذه . ونقول إن هذه المسائل الفلكية لم يتعرض لها القرآن هنا في مثل هذه الآية وغاية ما ذكره أن الله خلق سبع سموات طباقاً وقلنا إن الأجرام التي خلقها الله هي عالية بالنسبة لنا فهي سموات وهي سبع طباق بعضها فوق بعض بالنسبة لنا أيضاً فلا دخل

لذلك في كون بعضها تابع لغيره (١) فإن هذه المسائل لا علاقة لها بتفسير الآية كما لا يخفى على ذي عقل

ويستعمل لفظ السماء في اللغات الأفرنجية أيضاً في عدة معاني مختلفة فهي الانكليزية لفظ Heaven قد يراد به السحاب أو الجو أو الذات العلية أو الجنة أو غير ذلك والمقام هو الذي يعين هذه المعاني المختلفة كما هو المصود في اللغة العربية

### (المسألة الثانية عشرة)

#### (الأرض والجبال)

قال الله تعالى ( ١٢:٦٥ ) الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلين ينزل الأمرينهن ) وقال ( ١٥:١٦ ) وأتني في الأرض رواسي أن تميد بكم ) وقال ( ٧:٧٨ ) والجبال أوتادا )

لم يذكر في القرآن أن الأرض سبع إلا في الآية المذكورة هنا ولم يذكر فيه مطلقاً لفظ الأرض بالجمع ولا في الآية السابقة . بخلاف السماء فأتها ذكرت بالجمع في أكثر المواضع فالظاهر أن الأرض شيء واحد ولكنها ذات طبقات سبع فلذا قال هنا « ومن الأرض (بالأفراد) مثلين » أي في العدد وهي كونها سبعة وفي كونها طباقاً ويجوز أن تكون طبقاتها أكثر من سبع وإنما خص هذه بالذكر لكونها الطبقات الأصلية أو الأساسية فإن الآية لا تدل على الحصر فلا مانع من أن يكون بعض هذه الطبقات الأصلية مركبا من طبقات أخرى وقد يكون لفظ سبع لا مفهوم له ومستعمل هنا للدلالة على الكثرة فقط كما يناء سابقا في مسألة السموات وقوله « وأتني في الأرض رواسي أن تميد بكم » تميد من ماد التسمية أي

(١) حاشية — من تذكر أن لكثير من السيارات توابع كالمركب بالنسبة للأرض وهذه التوابع أو الاقمار تضيئها فيهم معنى قوله تعالى (وجعل القمر فيهن نورا) فإن الألف واللام هنا تصح أن تكون للجنس لا للعهد والمعنى أن الله جعل الاقمار أنوارا تضيئ بها السموات



مالت واضطربت ففني الآية أن الله أثقل الأرض بالجبال لمنعها من الميدان والزلزل الدائم وذلك أن الجبال بوجودها في بعض الجهات جعلت ثقل الأرض في جميع الجهات متساويا بالنسبة الى المركز فإذا دارت الأرض حول مركزها لا يحصل أدنى اضطراب فيها ولو كان بعض جهاتها أخف من البعض الآخر لشعرنا بالاهتزاز يوميا من حركة الأرض حول محورها . وأيضاً فإن الجبال بثقلها العظيم على الأرض وبما امتد من قواعدها من الشعب الصخرية كونت طبقة حجرية عظيمة تقي ما بين الجبال من الوديان من انفجار باطن الأرض الملتهب ونسف قشرتها أو زلزالها الدائم ولا يخفى أن أغلب الأراضي المسكونة إنما هي في الحقيقة وديان بين جبال . فلو لا الجبال لتوالت الزلازل ، ولما هداً للبشر جميعاً بال ، ولما كان حدوث الزلازل نادراً كما هو الآن وحاصلاً لبعض البشر دون بعض

وقوله « والجبال أوتادا » هو كقوله بعده « وجعلنا الليل لباسا » أي كاللباس في السر . فلعنى أن الجبال كالأوتاد المغروسة في الأرض وإذا لاحظنا أن الأرض تجذبها من جميع تقطعها الى مركزها كما تشد الأوتاد بالجبال المربوطة بها أدركنا ما ينهمن الشبه العظيم وفهمنا نكتة هذا التشبيه . وكما شبه الله تعالى الجبال هنا بالأوتاد كذلك شبه الأهرام المصرية بها في قوله « ٨٩ : ١٠ وفرعون ذي الأوتاد »

### المسألة الثالثة عشرة ﴿

( تفسير آيات عدم صلب المسيح )

قال الله تعالى ( ١٥٧ : ٤ ) وقولهم - أي اليهود - انا قتلنا المسيح ( قالوا ذلك نهكاً والمسيح معناه عندهم الملك لانهم كانوا يمسحون ملوكهم بالزيت عند توليتهم وسمي عيسى مسيحاً لانه كذلك روحاني استولى على قلوب الناس ونفوسهم وخلصهم من عاداتهم الرديئة ومن أسر التقاليد والاهام والعقائد السيئة ورقى نفوسهم وأصلح أمورهم فهو كالملوك العظام الذين كانوا يأتون اليهود فيخلصونهم من الأسر والبلايا ويرقون شؤونهم ككورش ملك فارس الذي تقدم ذكره وكانوا يسمونه هو وغيره من الملوك النافعين لهم بالمسيح وكانوا يتوهمون ان المسيح سيأتي ويرد

## ٣٦٨ وقوع الاشتباه في الاشخاص ( المراجع ٥ م ١١ )

لهم ماقدومه من المجد والسلطان ( عيسى ) تريب لفظ يشوع ومناهه المخلص وهو علم مشهور عند اليهود وسمي به كثيرون قبل المسيح بينهم كيشوع خليفة موسى عليها السلام وكانوا يتفاءلون بهذا الاسم ويرجون ان يكون لهم بشرى خير لخلاصهم مما كانوا فيه من الرزايا والمصائب ( بن مريم . وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ) أي اشتبه عليهم الأمر فأخذوا واحدا يشبهه ظاهرا أنه هو المسيح وصلبوه وقتلوه . واعلم ان وجود اشخاص متشابهين في الخلقة أمر مشاهد معروف وقد يكون الشبه تاما بحيث يخدع به اهله وذووه فما بالك اذا كان القابضون على المسيح ما كانوا يعرفونه ولا الذين حاكموه ولا الذين حضروا تنفيذ الحكم فقد فرأ تلاميذه من حوله وهربوا وكل ذلك صريح في نصوص العهد الجديد .

ويوجد في كتب الطب الشرعي حوادث كثيرة في باب تحقيق الشخصيات دالة على انه كثيرا ما يحدث للناس الخطأ في معرفة بعض الاشخاص ويشتهون عليهم بغيرهم وقد ذكر «جاي» و«فرير» مؤلفا ( كتاب اصول الطب الشرعي ) في اللغة الانكليزية حادثة استحضر فيها ١٥٠ شاهد المعرفة شخص يدعى «مارتين جير» فجزم اربعون منهم بأنه هو وقال خمسون انه غيره والباقيون ترددوا جدا ولم يمكنهم ان يبدوا رأيا ثم اتضح من التحقيق أن هذا الشخص كان غير مارتين جير وانخدع به هؤلاء الشهود المبتون وغاش مع زوجة مارتين محاطا باقاربه وأصحابه ومعارفه لمدة ثلاث سنوات وكلهم مصدقون أنه مارتين ولما حكمت المحكمة عليه لظهور كذبه بالدلائل القاطعة استأنف الحكم في محكمة أخرى فأحضر ثلاثون شاهدا آخرون فأقسم عشرة منهم بأنه هو مارتين وقال سبعة انه غيره وتردد الباقيون وقد حدثت هذه الحادثة سنة ١٥٣٩ في فرنسا وأمثالا كثير

وقد بلغ شبه بعض الاشخاص لغيرهم أن وجد فيهم بعض ما يوجد في غيرهم من شابههم من الكسور او الجروح او آثارها وغير ذلك حتى تعسر تمييز بعضهم عن بعض ولذلك جد الأطباء في وضع مميزات لاشخاص البشر المختلفين فاذا كان الأمر كذلك فهل في حادثة المسيح ادنى غرابة ؟

ثم قال تعالى ( وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع

الظن كما في الحادثة التي سبقت ولذلك اختلف طوائف النصارى قديماً وحديثاً في هذه المسألة واختلف فيها ما وجد عندهم من الكتب كإيناه في موضع آخر . ولو كانت حادثة الصلب يقينية لما وقع فيها ما وقع من الاختلاف بينهم

( وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه ) أي إنه لم يقتل ولكن توفاه الله ورفع روحه إليه وأسكنها عنده في جنات النعيم كما قال في آية أخرى ( ٥٥: ٣ ) إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهر لك من الذين كفروا ) وكقوله تعالى حكاية لقول المسيح عن نفسه في الآخرة ( ١١٧: ٥ ) فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ) فالرفع هنا روحاني معنوي وكذلك ورد الرفع في القرآن في مواضع كثيرة في الأمور المعنوية . قال تعالى ( ٢٥٣: ٢ ) ورفع بعضهم درجات ) وقال ( ١٧٦: ٧ ) ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض ) فعنى الآية أنهم لم يقتلوه ولكن الله هو الذي قبضه إليه بدون أن تصل إليه أيدي الأعداء بالسوء ورفع روحه إلى جنته واسكنه بمجواره وذلك كله على حد قوله في مواضع أخرى ( ١٦٩: ٣ ) ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ) أي تتمتع أرواحهم في الجنة . وقوله ( ٥٤: ٥٤ ) إن المتقين في جنات ونهر ( ٥٥ ) في مقعد صدق عند مليك مقتدر ) فكل هذه العبارات « كمنه الله » و « رفعه الله إليه » ونحوها مستعملة في معانيها المجازية لا الحقيقية

فالظاهر أن المسيح عليه السلام ذهب إلى جهة من الجهات أو جبل من الجبال فتوفاه الله هناك ولما ذهبوا ليقبضوا عليه وجدوا شخصاً يشبهه فاغترخوا به فأخذوه وقتلوه وصابوه . ولعل هذا الشخص هو يهوذا الاسخريوطي وكان يقصد خيانة المسيح وإن يقبض عليه ويسلمه فوقع فيما كان يدبره لسيده فاشتبهوا فيه وأخذوه أخذاً ويلاً وأما المسيح فكان قد توفاه الله وأنجاه من مثل هذا العذاب وذهاب بعض الأنبياء إلى بعض الجبال ووفاتهم بها امر معروف كما وقع لموسى عليه السلام ( راجع سفر التثنية ٣٤ : ١ - ٦ )

ثم قال الله تعالى ( ٤ : ١٥٨ ) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ) أي أن كل شخص من أهل الكتاب لا بد عند ( المنار ج ٥ ) ( ٤٧ ) ( المجلد الحادي عشر )



## ٣٧٠ تأييد المؤمنين بالمسيح على عدوهم (المنارج ٥ م ١١)

وفاته ان تتضح له الحقيقة فيؤمن بالمسيح كما جاء به القرآن وليس معناه انهم يؤمنون به عند نزوله يوم القيامة كما هي عقيدة النصارى فان الآية صريحة في أن كل شخص منهم سيؤمن به وأما عند نزوله فلا يؤمن به الا الذين يحضرونه وهو خلاف نص الآية واعلم أن المسلم لا يجب عليه الايمان بانه سيحيى يوم القيامة والظاهر أن هذه عقيدة سرت من النصارى إلى المسلمين . ولم يأت بها القرآن . والأحاديث لا يؤخذ بها في العقائد الا اذا تواترت وليس في هذه المسألة حديث متواتر

واما قوله تعالى (٤٣ : ٦١) وإِنَّهُ لَعَلِّ السَّاعَةَ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا) فمعناه إنه لدليل على قدرة الله على البعث فان الذي خلقه بلا أب والذي أحيا الموتى على يديه قادر على احياء الموتى يوم القيامة . وهذه الآية كقوله ( ٢١ : ٩١ ) وجعلناها وابنها آية للعالمين

ولقائل ان يقول إذا كان المسيح مات وتفرق تلاميذه من حوله بسبب أعمال اليهود وكانوا قليلي العدد فما معنى قوله تعالى ( ٦١ : ١٤ ) يا ايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ) . وتقول اما في عصر المسيح عليه السلام فقد كانوا مؤيدين بقوة اليقين والايمان ظاهرين على أعدائهم بالحجة والبرهان وبما يظهره الله تعالى على يده من المعجزات والآيات البينات وأما بعد وفاته فقد سلط الله الرومانيين على اليهود فشتوهم في اقطار العالم وخربوا مسجدهم المقدس ولم يعصب المسيحيين في أثناء ذلك أدنى أذى ثم صاروا ينتشرون في الارض ويزداد عددهم شيئاً فشيئاً حتى دخل قسطنطين في المسيحية وصارت ديارتهم هي الديانة الرسمية للدولة الرومانية وبذلك تم لهم الظهور على أعدائهم اليهود ولا يزالون كذلك الى الآن كما قال تعالى ( ٣ : ٥٥ ) وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ) وانما عبر تعالى بالفاء في قوله ( فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ) مع ان ظهورهم الماضي لم يظهر الا بعد مضي سنين طويلة لان سنيننا هنا هي عند الله كالحظات ( وان يومه عند ربك كالف سنة مما تعدون ) ( انهم يرونه بعيدا ونراه

( المراجع ٥٠ م ١١ ) العمل بالحديث وبحث التواتر ٣٧١

قريباً) وغلو المسيحيين في بعض معتقداتهم وتأليبهم لنبيهم لا ينافي انهم مؤمنين به فلذا وصفهم الله تعالى بالايان في هذه الآية كما وصفهم به في آيات أخرى كقوله تعالى (٥٧ : ٢٨) يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ( الآية . فلا منافاة بين الغلو في العقيدة وبين اصل الايمان ، ( للمسائل بقية )

## باب المناظرة والمراسلة

٤

### ﴿ بحث العمل بالحديث وبحث التواتر ﴾

يقول حضرة الدكتور : أنا لا أنكر ما الأحاديث من الفوائد ثم قال ولكن ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين ولا ياحتجها بالقرآن الشريف -الدين الذي يكفر منكره شينان القرآن وما تواتر عن النبي ( ص )  
وتقول ان الله جل شأنه ارسل رسلا اوجب على عباده تصديقهم واتباعهم في كل ما أرسلوا به وليس من شرط الرسول ان يأتي بكتاب من عند الله وبعبارة أخرى لم يقل احد من العقلاء بعد ثبوت رسالته انه يجب على الله ينزل عليه كتابا يقرأه او كلاما يتلوه بلفظه — بل عرفوا الرسول بأنه بشر أو حي اليه بشرع وأمر بتبليغه سواء كان التبليغ والبيان بالقول أم بالفعل على ان القول مقدم على الفعل ومعرفة الشرع بالقول أكثر منه بالفعل والله جل شأنه لم يخصص طريقا ولا طرقا معينة لحملة الشرائع في تبليغها الى من نأى وبعد مكانا او زمانا ولم يذكر في موضع ما من اي كتاب من كتبه ان من رد ما بلغه من الدين بغير تواتر معذور ولم يقل ذلك احد من رسله او ممن يعول عليه من أتباعهم بل لم يشترط ذلك احد من البشر في شؤون دنياهم الاجتماعية

وانما مدار ذلك والله اعلم هو حصول التصديق بالنسبة الى خصوص من بلغه خبر ولم يقصر في البحث عن صحته وصدقه فحين تصديقه لا يجوز له رده وهذا هو

## ٢٧٢ التواتر ليس شرطاً لقبول الخبر في الدين ولا غيره ( المراجع ١١٥ )

الذي دل الشرع والعقل عليه وعليه اتفق أهل الملل قاطبة وهذا مما أنجلّ حضرة الدكتور عن مخالفته

بعت الله رسله مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس عليه حجة وهو لا يأمر بالمحال ولا يكلف نفسا الا وسعها فلو أوجب على الام تبليغ كل مسألة من شرعه بالتواتر وعلى المبليّفين رد غير التواتر لكان ذلك تكليف ما لا يطاق مستلزماً للملاشاة الأديان، ومعطلاً لسائر المواصلات ومعاملات بني الإنسان، والله منزّه عن ارادة ذلك فبطل اشتراط التواتر لقول مسائل الدين

دل القرآن على ان من جاءته الحجة عن الله بتوسط رسله ووردها جحداً أو مكابرة أو بماشا كل ذلك وداناه فقد كفر بالله وبرسله واستحق العقاب وشديد العذاب ومن بلغت الحجة عن رسول من رسله حين وجوب طاعته في خصوص تلك المسئلة من طريق لا يردّها في جميع شوؤنه ولا ينكر صحتها بعد البحث والتقيب ثم ردّها جاء عن الرسول بتلك الطريق تشبيهاً فلا شك انه معاند ومكابّر ومنازل طاعة ذلك الرسول وسواء كانت هذه الطريق متواترة أو آحادية

فقول حضرة الدكتور ولكن ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين - يعني الأحاديث الصحاح الآحادية ولو كانت مشهورة ومستفيضة - ثم قوله « الدين الذي يكفر منكروه شيئان القرآن وما تواتر عن النبي (ص) » يدل بل هو ظاهر في ان من انكر واجباً من الشرع فهو كافر ولذلك احتاط في انه لا يكون الشيء واجباً الا اذا قل بالتواتر. والحق ان التواتر ليس شرطاً في وجوب الخبر كما ان من أنكر ما دل عليه التواتر قد لا يكفر في بعض الصور بل قد لا يكفر من انكر بعض الواجبات عند غيره كما قد عرفت ان الحصر الذي ذكره غير مسلم وذلك لأن الشيء قد يكون متواتراً عند شخص دون شخص وقد يختلف معنى التواتر وشرائطه عند أناس دون أناس بل التواتر عند بعض الناس لا يفيد العلم وعند بعضهم في بعض صورته وعلى قول الجمهور يمكن ان يوجد تواتر في أمر ما ويصر على بعض الناس معرفته وتحقق وقوعه في ذلك الأمر بل يمكن ان يوافيه حمائه قبل ان يبلغ من ذلك مرامه، والحق ان من انكر ما عرف وجوبه من دين الاسلام وصار ذلك معلوماً له ولو بنجبر



الآحاد كفر وكذلك من أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة ولم يكن قريب عهد  
الاسلام أو نشأ بعيداً عن العلماء كفر وإن لم يكن منقولاً بالتواتر المعروف عند التواترية  
نحن لا ننكر أن بعض أنواع التواتر يفيد العلم ولكن ننكر انحصار العلم الخبري  
فيه أو فيما باشر الشخص سماعه كما أنا لا نسلم أن ما هو متواتر عند أناس يلزم أن  
يسلم تواتره الآخرون.

أب من رمى التقليد جانباً وتبرأ من التعصب المشوم وجعل الحق مطلبه  
والانصاف رائده ونظر في أقوال العقلاء من هذا النوع البشري نظر الناقد البصير  
علم علماً لا يعتريه شك أن كل ما وجد عندهم من الحق فهو مطابق أو مأخوذ مما  
جاء به المعصومون عليهم الصلاة والسلام، عن الخلاق فاطر الأنام، وحيث كان غرضنا  
في هذا المقام تحقيق الخبر المسند إلى رسول الله (ص) وما يجب قبوله وما لا يجب تقوله

### ﴿ العلم والطرق المؤدية إليه ﴾

الناس تكلموا على العلم وعلى الطرق المؤدية إليه فمنهم من شدد وضيق فلم  
يجعل إلى العلم سبيلاً غير ما أدركه بأحد حواسه وهذا مع كونه إهمالاً لأفضل ما امتاز  
به الإنسان في اعلام مدارج إنسانيته هو تعطيل لجميع الارتفاقات والتعاون على تحصيل  
أنواع العلوم المختلفة المواضيع إذ من المحال أن يقوم الفرد بتحصيل جميع العلوم التي  
قد حققها وعرفها جميع البشر — هؤلاء المضيقون غاية معتقدهم تعرية الإنسان عن  
أكثر العلوم والقضاء عليه بالوقوف دون مصاف كثير من الحيوان والبهائم لما  
عرف من أن إحساس بعضها أقوى من إحساس الإنسان. ومن نتائج مذهبهم  
المشوم ضياع وإحلال عرى التضامن الاجتماعي وارتفاع الوثوق من بين أفراد  
الناس في أشد ضرورتهم — ولذلك ترى هؤلاء المضيقين من أكثر الناس  
تناقضاً في علومهم وأقوالهم وأفعالهم لأنه من المستحيل عليهم التزام مذهبهم الفاسد  
ومن تتبع علومهم وأقوالهم وأفعالهم في جميع شؤونهم وجدهم على جانب بيسدوفي  
غاية لمناقضة لما أصوله مما ذكرناه عنهم

ومن الناس من وسع بعض التوسعة لكنه أنكر حصول العلم من طريق الوحي

## ٣٧٤ الخبر . وجوب قبوله وجوبه على من صح عنده (المنازع ٥ م ١١)

وهؤلاء هم الزنادقة المخرون لوجود واجب الوجود أو المنكرون للنبوت وهؤلاء يؤول انكارهم الى تقيصه تعالى شأنه المؤدي الى نفيه المؤدي الى المحال في الضروريات والقدح في المشاهدات وكون الشيء فاعلا لنفسه أو مفعولاً لغير فاعل ومن الناس من طلب الحق وتبين له فساد قول هؤلاء وهؤلاء واجتهد في طلب الصواب فسلم بأكثر الطرق المؤدية الى العلوم لكنه أهمل بعضها لاشتراطها شروطاً يعسر أو يتعذر وجودها وهذه عدوى سرت اليه من مخالطة من تقدم ذكرهم من الملحدين السابق ذكرهم

فمن اشترط في وجوب قبول الوحي أي الشرع أو اعتبار الاخبار مطلقاً المشافهة والسمع أو بلوغه بالاجماع عملاً أو التواتر قد نصب في طريقه العقبات ، واقام دونه سد المحالات ، وشرع في الدين ما لم يأذن به الله ، ونحن نسأل حضرة الدكتور هل تشترط ذلك في جميع العلوم التي يشتغل بها الناس وفي جميع ما يتعلق بشؤونهم الاجتماعية أم لا تشترط ذلك إلا بخصوص بلاغ الاحكام والمسائل الدينية ؟ اننا لا أظن انه يلتزم ذلك في الأول ولئن اتزمه فالواقع والمشهداة ترده وهي أعدل حكم بل يلزمه من التناقض ما لزم المضيقين السابق ذكرهم إذا بطل في الاول اشتراط ذلك ففي الاديان كذلك ! ! قد منا من تلازم القدر بالشرع فلا فرق يعتد به

وعليه فالذي دلت عليه الكتب والشرائع السماوية وهو ما عليه عامة البشر « فطرة الله التي فطر الناس عليها » - هو أن من ثبت لديه بخصوصه صحة خبر وصدقه وجب عليه قبوله وهو في حقه علم حين تصديقه (١) اللهم الا ان يكون الخبر ينتج ضرراً على احد . والخبر معلوم فسقه فيجب التبين والتروي حتى يظهر وينكشف حال ذلك الخبر وكذلك من بلغه الخبر عن لا يعلم حاله والامر ما ذكرناه وجب عليه التقيب فان صح لديه ذلك الخبر من الطرق الذي يصحح بها مثله وجب عليه قبوله كما انه

(١) هذا ما قررناه في الرد على الدكتور صدقي ( ص ٩٢٦ م ٩ ) وقد ذا كرناه منذ ايام في ذلك فرائنا ما مال الى ترك اشتراط التواتر لان النبي كان يرسل الاحاد دعاة وعمالا فيقبل الناس منهم

## (المنار ج ١١ م ٥) كتاب شكر المنار وتأين ذكاء الملك ٢٧٥

يقبله في بقية شؤونه الدنيوية ولا يجوز له اتباع هواه والتشهي والترجيج بلا مرجح  
لم يوجب الله علينا معشر المسلمين التقيد بما أسس بعض الناس بل نهان عن  
التقليد واتباع الآباء وأوجب علينا النظر فما وافق ديننا الذي هو الدين المستحيل  
مخالفته للعقل الصحيح قبلناه وليس من العدل ان تترك ما لدينا من الحق وتقتصر على  
مالدي المخالفين وان دل عليه ديننا اماما خالف ديننا فلا شك انه مخالف للعدل والعقل  
وليس في الدين ولا في القرآن ولا في الحديث الصحيح ما يناقض ما دل العقل  
الصحيح عليه (١) ومن زعم ذلك فعليه البيان نعم في الدين اشياء لم تستعد بعض  
العقول لإدراكها وسببه ما قدمناه من تضيق بعض الناس وسد أكثر ابواب  
الطرق المؤدية الى العلم فاذا كل لبعض الناس استعداد العقل وصار انسانا بالمعنى  
الذي خلق لاجله فلا شك انه يدرك معلومات لا يكمل العقل الا بإدراكها فعلى من  
لم يأت هذه البيوت من أبوابها ان يسأل اهل العلم (الكلام بقية)

## شكر المنار على تأين ذكاء الملك

رسالة جاءتنا من العالم الاديب بدائع نكار ميرزا فضل الله اليهقي مدرس  
العلوم الادبية في مدرسة طهران السياسية . ورغب اليها ميرزا محمد علي خان نجل صديقنا  
(رحمه الله) ذكاء الملك ان تنشرها في المنار فنشرناها شاكرين للاديبين فضلها وهي

هو

مجدير ان يؤذن في المنار معارف عنونت في المنار (٢)  
وكنا في محاق الجهل دهرا بفرته سلخنا من سرار  
سأجل شكر منشأ دائري واجعل مدحه ابدا شعاري

(١) المنار : صرح بهذا شيخنا الاسلام ابن تيمية وابن القيم وتصديا لبيانه  
بما كتبه الثاني في اعلام الموقعين من التفصيل البديع (٢) لعل الاصل « معارف  
عنونت باسم المنار » او « عنونت في ذاء المنار » فسقط لفظ « ذا » سهوا



وما أنا في رفع خبري الى حضرة مولاي أدام الله بقاءه ابتداءً ونصيب وجوه  
أمني لشمول عواطفه رجاء ، قبل التعرف اليه ببعض المعارف ، والتقرب اليه بطرائف  
اللطائف ، الا كطالب الإيناس قبل الابساس ، والماتح بلا اسباب وامراس ،  
ولكني اجل سيدي من ان يحتاج العبد الى تقربه بالوسائل ، ويمت اليه بذرائع  
القبائل ، لان داعي فضله على المنارجهارا ، بدعونا الى نار قراه ليلا ونهارا ، فلا ألام  
على ذلك الاقدام ان ليت دعوته ، وصليت قبلته ، وأتيت ناره ، ويمت داره ،

قِيلَ بمبج مأواه ونائله في الشرق يسأل عن نيله سبلا

على اني من آل داود ، ومن عاملي الشكر معدود ، وكيف لا أشكر من  
مولاي نعمه التي أحيت القلوب ، واماتت العيوب ، وحسن منا الاخلاق ، وعلق  
علينا الاعلاق ، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء ، ورداه عنهم برد الثناء ،  
« ولو سكتوا اثنت عليه الحقائق »

قد وقفت على خاتمة الجزء الثاني عشر من المنارج في مدرسة السياسة من طهران ،  
بعد ما وقفت على فاتحة المجلة في خراسان ،

تنورنهما من أرض طوس واهلها يثرب أدنى دارها نظر عالي  
وقفت على تأين الفريد ذكاء الملك اطاب الله ثراه فأخذني من  
الأسف. ماجري إلى التلف

فقدنا ذكاء الملك لابل سماء وما حال ملك زال عنه ذكاؤه  
فقدناه لو ان يقتدي لفديته ولكن قضاء الله حتم مضاه  
مضى رحمه الله وأصمى على قلوبنا سهام الموم ، وأحى على اكبادنا مكاي  
الغموم ، فلولاً خلفاه الصالحان ، وفرعاه الباسقان ، وثمراه اليانغان ، وقرراه الطالعان ،  
لما صبرنا على هذه الرزية ، بل هلكنا من سطوات تلك البلية ، ولكن بحمد الله ومنه  
وفي الحي باليت الذي غيب الثرى فلا الملك مغبون ولا الموت غابن

فها انا مع عقدة لساني ، وعجمة يائي ، وضيق باعي ، وقلة متاعي ، وتقصان  
بضاعتي ، وكلاله يراعتي ، أشكر من مولاي أدام الله بقاءه ، تأينه على فقيدنا ذكاء  
الملك طاب ثراه ، واسأل الله ان يديم ظلال عواطف مولاي على رؤس أهل الأدب ،

ويقيم على تثقيف الأود من العجم والعرب ، وأن يجعل كتابي هذا عنده مقبولا ،  
لامردود علي مبدولا ، وأنهى الى تلك الحضرة العلية من أدينا ذكاء الملك بن  
الذكاء ، أركى وأوفى الثناء ، اختتم كتابي مقتدرا بذلك الخطاب  
لا تنكرن وان اهديت نحك من علومك الفرو وأدائك التقا  
فقبم الباغ قد يهدي لمالكه برسم خدمته من باغه التحفا  
العبد فضل الله بن داود البيهقي المدعو بدائع نكار  
للسدة السنية العلية والعتبة البهية الرضوية على راقدها آلاف الثناء والتحية

### محجج البرهان الصريح ، في بشار النبي والمسيح

( عليهما السلام )

بسمه تعالى مستشر كتاباً فيه بشار النبي والمسيح عليهما السلام منها لني عليه  
السلام وأمه من نبوة اشعيا ص ٤٠ عدد ٣ وص ٤٠ عدد ٢٥ وص ٤٢ عدد ١٦ ونبوة  
دانيال ص ٢ و ٧ والوارد فيها ختام النبوة والحساب من حرب ادريانوس ملك  
الرومان لليهود سنة ١٣٢ وانتهاء المدة سنة ٦٢٢ وهي سنة الهجرة والاذن بالفتح  
والجهاد وتبين فيه صحة الترجمة في مواضع منه في التكوين بشأن سيدنا اسماعيل ص ١٦  
عدد ١٢ «انساناً وحشياً» قال العالم الامرائيلي الترجمة انسان بري (يسكن البرية) يده في  
الكل ويدالكل فيه ولفظه العبراني يرى آدم اي آدم بري ويده في الكل المراد به سيدنا  
محمد عليه السلام لانه من اسماعيل . وفي مزمو ٨٠ عدد ١٧ وابن آدم الذي اخترته  
أي نبينا ابن اسماعيل عليهما السلام لانه سمي اسماعيل آدم ، وفي التكوين من قول الرب  
للخليل ص ٢١ عدد ١٣ وابن الجارية أيضاً اجعله أمة لانه نسلك والاصل العبراني  
ان نسلك هو ولفظه «كي زر عظامه» اي انه هو زرعك وفي المسيح عليه السلام «وخلق  
الرب له من غير اب» من نبوة ارمياص ٣١ عدد ٢٢ خلق الرب شيئاً حديثاً في الارض  
انتي تحيط برجل وفي الشروح ان هذا في المسيح وتأيد نبوة ارميا هذه في القرآن  
الشريف من سورة آل عمران وفي نبوة اشعياص ٤٩ المختصة بالمسيح يحكي بالوحي  
ما يكون للمسيح وفيها ان له مجيئين والاصل العبراني لها عدد ٥ قال الرب جابلي من  
(المنار ج ٥) (٤٨) (المجلد الحادي عشر)

البطن عبداً له لا رجاء يعقوب فيضم اليه اسرائيل ولم ترجع بني اسرائيل كما في عدد ٤١ اما انا فقلت عبداً ولحيته الثاني عدد ٦ قال سهل ان تكون لي عبداً لتقيم اسباط يعقوب ورد محصورى اسرائيل واجملك نوراً لآلئ تكون خلاصى الى أقصى الارض ثم أكد ذلك في عدد ٨-١٣ وفي عدد ٦ «واجملك» قالوا بلها فقد جعلتك . وما ذكر في اعمال الرسل ص ١٢ عدد ٤٧ خلاف الاصل العبراني أيضاً لان رسالته كانت لبني اسرائيل ونبوة ميخا ص ٥ عدد ٣ و٤ تؤيد ان له مجيئين كنبوة اشعيا هذه ص ٤٩ وتؤيدها أيضاً نبوة اشعيا ص ١١ التي هي لحيته الثاني لان فيها يرفع راية الامم ويجمع بني اسرائيل من اربعة اطراف الارض وهذا معنى ماورد في نبوة اشعيا ص ٤٩ عدد ٦ لتكون خلاصى الى أقصى الارض اي خلاص بني اسرائيل كما في ص ١٢ من نبوة اشعيا أيضاً المتمة اص ١١ وهذا في آخر الايام كما في نبوة هوشع ص ٣ عدد ٥ ونبوة اشعيا ص ٤٩ تؤيد مجيء المسيح بعينه الاول قبل انتهاء تسلط اليهود على الشعب في ارض فلسطين كما في عدد ٧ والرب يحميه منهم كما في عدد ٢ «في كناته اخفاني» وعدد ٨ «وحفظتك» وقد قلمت اليهود من ارض فلسطين سنة ١٣٢ ثم لما دخل الاسلام صاروا في حماه .

ومنها في نبوة اشعيا ص ٥٣ عدد ٨ «انه ضرب من أجل ذنب شمي» والاصل «ضربة لهم» ولفظ لهم بالعبراني «لاموا» لان الكلام في الشعب الذين اخذوا بالابل وحضروا منها واتبعي ارميايين كثيراً منه في صرائيه وفي عدد ١٠ «فسر» والاصل فارادوا وفي عدد ١٠ أيضاً «ان جعل نفسه ذبيحة اثم يري نسلا» ولم يكن في الاصل العبراني لفظ ذبيحة والكلام في الشعب لانه ذكر يري نسلا وفي مز مور ٢٢ عدد ١٦ «تقبوا يدي» والاصل «كأيدي» مع انهم اعترفوا في كتبهم باعتماد الاصل العبراني والمسيح ايد نبوات الانبياء كما في انجيل متى ص ٥ عدد ١٧ ولم يؤيد التواريخ ونيين في الكتاب بعض الآثار المصرية والاشورية التي تؤيد التواريخ الاسلامية الصحيحة ونذكر نبذة في فضائل الاسلام ونطلب منه تعالى العون في البدء والختام

(تفسيه) في نبوة اشعيا ص ٤١ عدد ٢ «أهضته من الشمال» وقبل وضع الحركات التي وضعت بعد قرون كان ينطق بها «أهضته من مخباء» وهو النار وعلى وضع الحركة قام نبينا «ع م» من الشمال وهي المدينة شمال مكة ودخل مكة شرقاً والكلام في مساكن قيدار كما يأتي وفي ص ٤٢ عدد ١١ ذكر مساكن قيدار وفي عدد ١٣ «خروج الرب كرجل محروب» اشارة للجهاد وقيدار ابن اسحاق كما في التكوين ص ٢٥ عدد ١٣

«يا خت هارون» ورفاههم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم حديث صحيح



وفي نبوة حزقيال ص ٣٧ عد ٢٤ سهي المسيح داود ونبوة زكريا ص ١٢ و ١٣  
تمت في يهوذا المكاني واخيه يوناثان  
وموجود بلد اسمها سمره «شمر ون بالمراني» قبل دخول بني اسرائيل الارض كما  
في سفر يشوع ١٢: ٢٠ وفي آثار توتنيس الثالث وجود يهود بفلسطين قبل دخول  
بني اسرائيل  
احمد ترجان

## بَابُ الْحَبِيبِ وَالْأَكْبَرِ

### نادي دار العلوم

لا يجمل أحد من المتعلمين في مصر، ان أهل نادي دار العلوم هم عماد النهضة  
العلمية العربية في هذا العصر، وسيكونون بعد اجتماع شملهم بهذا النادي أنفع  
للبلاد، واقدر على القيام بأعباء التعليم والارشاد،  
فتحوا باب البحث في التعريب والترجمة فأفادوا ما افادوا . ثم فتحوا باب  
البحث في مسألة الربا عند ما اشتدت العسرة المالية وزعم كثير من الناس أن  
المسلمين لا يمكن ان يحفظوا ثروتهم ويجاروا غيرهم في الارتقاء الا اذا تعاملوا بالربا  
وانشأوا المصارف ( البنوك ) المالية . وان الدين اذا كان يمنهم من كل ما يعرف  
عندهم بالربا فهو لا يوافق مصالحهم الاقتصادية والسياسية في هذا العصر  
خطب غير واحد من اعضاء النادي ومن غيرهم في الربا فكانت خطبهم ينابيع  
للفوائد الثقلية والاجتماعية والاقتصادية . وقد سلك كل واحد منهم مسلكاً أنار فيه  
المسألة من بعض جهاتها كما فعلوا في مسألة التعريب والترجمة ولم يتصد منهم أحد  
للكلام فيها من جميع الوجوه الا الرئيس في خطبة الختام . وقد ألقى صاحب هذه  
المجلة ( المنار ) كلمات وجيزة في ذلك أدمجناها في التفسير من هذا الجزء ولم يكن  
بحث كل خطيب في الموضوع من بعض الوجوه عجزاً عن سائرها وإنما كان ذلك  
هو المجلي للمسألة والمقرب للصواب من الافهام  
نتم بحسب ما في مسألة الزواج والعادات في الخطبة والاحتفال في العرس فأجادوا وأفادوا

## البدع والتجارات وَالْبَقَالِيدُ وَالْعَجَائِلُ

### اقترح بناء مدفن لعظماء الرجال بمصر

نشر في « الجريدة » اقترح بناء مدفن لعظماء الرجال بمصر تنقل اليه عظام من مات منهم ويدفن فيه من سيموت من بعد  
نشر هذا الاقتراح بتوقيع « باحثة بالبادية » وما هو الا خيال باحث في الحاضرة  
او تمنى متفرج في العاصمة قد استعجل جداً بهدم تقاليد قومه الدينية وتقلهم من مبادي  
التقاليد الأوربية الى غاياتها

لا أنكر ان بعض الملل التي بني عليها الاقتراح له وجه نظري معروف لثامه  
وضعت الامم الوثنية من قبل التماثيل والنصب وبنت القبور وشرقها، وعظمت هذه  
الآثار الماثلة حتى عبدتها ولكن كان إثمها اكبر من نفعها، وشرها اكثر من خيرها،  
ولذلك هدمها الاسلام وحرم نصب التماثيل وتشيد القبور وتشريفها كما في حديث علي  
كرم الله وجهه في صحيح مسلم وغيره « لا تدع تماثلاً الاطمسته ولا قبراً مشرفاً الا سويته »  
ربما قالت باحثة البادية او باحث الحاضرة ان الاسلام ما فعل ذلك الا ليطمس  
رسوم الوثنية حتى لا تنزع التوحيد في سلطانه على النفوس وهذه العلة مأمونة في  
هذا العصر «عصر المدنية والنور عصر المادية والعلوم» واذا انتفت العلة انتفى المعلول  
تقد قل مثل هذا القول أحد طلاب علم الحقوق من أولاد علماء الدين ونشره  
في تمثيله رد على من انكر نصب تماثيل لمصطفى باشا كامل وسكت له الجمهور  
على ذلك ولكنهم لم يكفوا بكوتهم مدعين

ما سهل تقويم هذه الشبهة على الاعتراف بصحة ما قيل من سبب تحريم الاسلام  
التماثيل والنصب والقبور المشرقة الا انني بأن أقول ان هذه شعار وثنية منع الاسلام  
سورتها لأنها تذكر معانيها وبعدها حين يؤرخشى ان تعيد روح الوثنية الى نفوس

المستعدين ، فلا نعيد هذه الصورة وان أمنت العلة الآن ، سدًا للذريعة ولو في مستقبل الزمان ، بل أقول أيضا ان العلة غير مأمونة في هذه الأيام ، لا سيما عند جماهير العوام ، فلونصبت التماثيل وبنيت الهياكل الخاصة لبعض القبور ، فأنهالا تلبث ان تصبغ بالصبغة الدينية بمصر وتبرك بها أو يعبدوها الجهور ، وأستدل على ذلك بأقوال دعائها وأفعالهم جاء في مقال « باحثة البادية » ما نصه

«والعامة من أهل مصر بل بعض الخاصة لهم ولع فائق بزيارة الاضرحة واعتقاد راسخ بنفع اصحابها حتى انك لو دفنت حماراً وبنيت له ضريحاً وقبة لزاره عدد من الناس يتبركون به وهم يعلمون انه حمار فاذا كان الامر كذلك في الحمار فكيف به في الرجال وكيف به في عظامهم » اهـ

ونحن نقول مع الباحثة ان عظماء الرجال يكونون أجدر بهذا التعظيم والتبرك وهذا ما يحرمه الاسلام وبعده معارضا للتوحيد

ذكر باحثة البادية من الرجال الذين تقترح نقل عظامهم للمدفن الجديد محمد عبده ومصطفى كامل وقاسم أمين فتقول كيف نأمن ان تعظم اضرحتهم تعظيما دينيا بعد ان يتخذ لها مكان خاص يقصد بالزيارة والاول منهم إمام من أئمة الدين وداع من دعاة القرآن ومحام عنه وعن السنة ، واقرى خاذل في عصره للبدعة ؟ كيف نأمن ذلك والثاني منهم على كونه ليس من رجال الدين في العلم ولا في الارشاد ، وليس له مقالة تؤثر في الكتاب ولا في السنة ، ولا في الدفاع عن أصول الاسلام وعقائده ، - قد نحلله أشياءه جميع الالفاظ التي يعظمون بها أئمة الدين وأوليائه كقولهم : فقيد الاسلام ، رضي الله عنه ، قدس الله سره ، قدس الله روحه . بل قرن بعضهم ذكره بذكر الانبياء ، وكاد بعضهم يفضلهم عليهم . وذكر أخوه الصغير في مناجاة ناجاه بها ان روحه مشرقة على العرش يعني انها فوق عرش الرحمن !! وذكر أخوه الكبير من أنباء ولادته نحو ماروي في ولادة النبي صلى الله عليه وسلم من أنه ولد طاهراً مختوناً ، وجعله بعضهم ثاني النبي (ص) في عظمتهم وكلامه كالانجيل والقرآن . وقال فيه شوقي شاعر الامير

او كان للذكر الحكيم بقية لم تأت بعده رثيت في القرآن

هذا وهو يعلم ان القرآن الحكيم لم ينزل منه شيء في رثاء الانبياء والصديقين ،



بل كل ما قال في شأن موت من أنزل عليه وهو خاتم النبيين ، ( ٣٩ : ٣٠ ) انك ميت وانهم ميتون ٣١ ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ) أي انك يا محمد تموت وهؤلاء المشركون الذين قالوا ( ٥٢ : ٣٠ ) تربعص به ريب المنون ) يموتون أيضاً وتختصمون جميعاً عند الله تعالى . وقال ( ٣ : ١٤٤ ) وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ؟ ) الآية وقد نزلت عندما قتل بعض المسلمين فانهزموا في وقعة أحد اذ صاح صائح « قتل محمد »

أفرايت من يغلو فيه الناس ذلك الغلو الذي أشرنا الى قليل مما قرأناه فيه ونحن لم نقرأ الا أقل ما كتب - وسكتنا عما سمعنا من بعض غلاة المارقين وما روي لنا عن بعضهم من مثل قولهم انه كان افضل من الانبياء وانه نفعا اكثر مما نفعا الاسلام! - أيستغرب ان يعظم تمثاله وقبره تعظيماً دينياً ؟ ؟

فيا أيها المتفرنجون أربعوا على ظلمكم وخففوا السير واتشدوا بهذه الأمة المسكينة فان مصابها عظيم والخطر الذي يحيط بها أعظم فلا تستعجلوا بهدم ما بقي لها من العقائد والآداب والاحكام الدينية وأتم لم تبوا لها ديناً ولا شريعة أخرى أحسن مما جاء به الاسلام ، ولا تستطيعون ان تحفظوا بقية الممالك التي فتحها لكم الاسلام ، إذا فرضنا ان ما ترمون اليه بالتماثيل وتقل عظام الموتى الى أضرحة عظيمة يزيد في تعظيم أصحابها والتبرك بهم والافتداء بسيرتهم هو ما يفيد في ترقيتها وفرضنا انه لا يقوي نزعة الوثنية فيها فدعوه الآن لمجرد نصوص أئمة المذاهب التي تنتمي اليها الأمة في تحريم نبش الموتى وتحريم نصب التماثيل مطلقاً وخذوا بالأمة إلى أسباب العزة والقوة التي لا خلاف فيها شرعاً ولا عقلاً وهي كثيرة لا يكاد يدعوا اليها داع ، وكلما يجمع لها مال أو يؤلف لها اجتماع ، ليست المدارس العلمية والدينية ، والكتب التاريخية والفنية ، والجمعيات الخيرية والدينية والادبية ، هي انفع من القبور والتماثيل الوثنية ، فلماذا لا تبذلون لها المال ، وتدعون الى تعميمها في البلاد ، ليست مدرسة مصطفى كمال افضل ما يعزى اليه من الاعمال ، فلماذا لا تبذلون لترقيتها ما جعتم للتمثال ، ليست آثار الاستاذ الامام ، في اصلاح حال المسلمين والاسلام ، هي افضل ما يحيا به ذكره ، ويرغب في التأسى به ، فلماذا لا تبذلون المال لشهرها ، وتعميم النفع بها ؟ ؟

## الفصل السابع\*)

### جمال خديجة والجمال عند قومها

الجمال محبوب لذاته عند الطبع، ومحبوب لفائدته عند العقل، ومع كثرة ما ألقت العيون رؤيته، والآذان سماع أحاديثه، لا تزال أسرارُه موضوع التفكير، ولا تزال دقائق تأثيراته محل الإحجاب، كيف لا وهو السر الأعظم في جذب الانسان الى مقاماته العلى من الابداع، والسبب الاكبر في إبعاد ما بينه وبين الحيوان في مراقبي الوجدان والادراك. فشرفه مجمع عليه عند بني آدم بغير خلاف بينهم. وإيما قوم حرموه فقد باؤا بجرمان عظيم. ولذلك لم نجد بدءاً من ذكر هذه المزية الاخرى لقوم «خديجة» فانها منزلة جدية بالذکر لا سيما بعد ان اشتهر عند من لم يعرف هؤلاء القوم انهم كانوا لاحظاً لهم من الجمال، ولا ذوق لهم في الحسن، ولا نصيب من توجه النفس الى الاحسن.

كبرت سبة أن يكون قوم «خديجة» على ما يظن هؤلاء الذين لا يتألف في ذهنهم ان يكون القوم سكان اقليم حار وذوي شظف من العيش ثم يكونوا مع ذلك ذوي خلقة جميلة وصورة بديعة

وكبرنا نقصيراً ان لا نبين في هذا الباب ما هو من جملة مناقب هذه السيدة وقومها فان استغرب قوم لم يميروا اسرار الخليقة نظرة تخصيصنا فصلاً لهذا الموضوع فانهم سيرونه فيما بعد مكيناً في موضعه على انه سيجد فيه المتفكرون صاحبه الانيس، ويحمدونهم أهله الكرام

## ٣٨٤ افضل ألوان الحسان عند العرب (المنار ج ٥ م ١١)

ان العرب قد تناسبت أجزاءهم، وتناسقت أوضاعهم، واعتدلت أشكالهم، بياضهم جميل، ليس فيه بهق بمض الاجيال، وأذمتهم لطيفة، ليس فيه حلكة بمض الاقوام، ولعل من فازت من حسانهم بخط عظيم من الجمال تقل نظائرها في حسان الآخرين، وتكون آية المتهى في جمال العالمين،

والمشهور ان الجمال يختلف في أذواق الناس ولكل جيل قياس في الحسن لا يأتي عليه قياس جيل آخر ولكن من أمعن بما يتناقله الكل من صفات الحسن يجد ثمة جهة جامعة ومقياساً واحداً تنفق معه المقاييس كلها وذلك ان الحسن الذي لا خلاف فيه ليس هو بلون الاديم وإنما هو باعتدال القامة، واستواء الهامة، وتناسب اجزاء الوجه ومقاطعته، وحلاوة المبسم، وملاحة العينين، ولطف الحاجبين، ورقة الشفتين، ولعل هذه المذكورات تكثر في العرب حتى ندر ان نجد غير موصوف او موصوفة بالحسن من مشهوريههم ومشهوراتهم. واذا اضيف الى ما ذكرناه بياض الاديم وتشربه بحمرة او صفرة كان ذلك فضلاً في الجمال، قد يبلغ به متهى الكمال، ولم يكن هذا اللون قليلاً في العرب عامة وقوم خديجة خاصة

والعرب لم يكثروا في كلامهم من شيء بمقدار ما أكثروا من وصف الجمال وقد رأيناهم يستحسنون هذين اللونين كثيراً: البياض المشرب بحمرة او البياض الضارب الى صفرة. قال ذو الرمة احد شعرائهم:

بيضاء صفراء قد تنازعا لونان من فضة ومن ذهب

وهذا اللون هو لون اللؤلؤ وقد جاء في القرآن المجيد تشبيه حسان



(المنارج ١٠) استمداد العرب بحب جمال الحلقة الى معرفة جمال الخالق ٣٨٥

الجنة بالؤلؤ المكنون ولا يختلف أحد الى عهدنا هذا في أن هذا اللون هو الذي تكون صاحبه أقرب الى الكمال في الجمال اذا أخذت بحظ من تناسب بقية الاوضاع ، فانه عند ما يطبع فيه الاحمرار لسبب من الاسباب تكون حرته ألطف من الحمرة الملازمة لبض البيض وعن مثل هذا عبر عدي بن زيد أحد شعراء العرب بقوله :

حمرة خلط صفرة في بياض مثلاً جاك حائك ديباجا

ولكثرة البياض اللطيف في العرب شبهوه بالصباح واشتقوا من الصباح لونا فقالوا للابيض صبيح ، واشتقوا من الزهر لونا فقالوا للأبيض المشرب بحمرة أزهر . وتشبيهم بورد الحدود دليل على كثرة هذا اللون فان هذه الحمرة لا تطبع الا على أديم أبيض ورأيناهم يشبهون الاعناق كثيراً بأباريق الفضة كما قالت قرية بنت حرب أخت أبي سفيان في أعمامها وأخوالها

وليس عجيب بعد أن كان الجمال الرائع من جملة خصائص العرب أن نجدهم مغرمي القلوب بمجالي تجلياته ، منصرفي الوجوه الى مشارق أنواره ، ثم لا بدع بعد ذلك اذا وجدنا حب الجمال قد لطف أذواقهم ، وعودهم على الاستحسان ، ونقلهم من حال الى حال ، الى أن تهبأوا لقبول الدعوة التي رقت بهم من هذا الجمال الى أعلى ، ومن هذا الغرام الى ما هو أولى ، نقلهم الى تصور الجمال الالهي مصدر كل جمال ، وركت بهم الى عشق الكمال المعنوي الذي هو فوق كل كمال ، فلم يصعب على أولئك

(المجلد الحادي عشر)

(٤٩)

(المنارج ٥)

الذين شفقهم الجمال المحسوس، أن يفهموا الجمال المقبول، وأن يزدادوا نصيباً منه مع نصيبهم من ذلك ولم يمزّ عليهم أن ينتقلوا إلى العالم الجديد الذي دعوا إليه لأنه تبدّى لهم أجمل مما كانوا عليه

ونحن إذ نرى للعرب الحظ الأوفر من الشفق بالحسن والاستعسان يزيد قدرهم في اعتقادنا ونرى من غير تردد أنهم كانوا لذلك المهد من أرقى الأجيال الراقية على بدمهم عن الزخرف، وعلم تطعيمهم بكل أسباب الحضارة، ولطنا إذا بحثنا عن المؤثر الأعظم في وفرة جمال هذا الجيل نجد ذلك لأنهم خصوا بأخذ المعتدل من المعاش، والتقل في المعتدل من الأقاليم، وحبب إليهم المعتدل من المهن والأعمال، وأضافوا إلى ذلك أنهم لا يتزوجون من غير رؤية غالباً ولا انتخاب دخل كبير في تحسين الجنس وتجويد النسل.

وإن بدا لأحدهم أن يتزوج بمن سمع بجمالها سماعاً تجده لا يقصر في البحث والتدقيق بواسطة من يثق بحسن ذوقه، وجودة أسماها، والحكاية الآتية تدلنا على مقدار حرصهم على اختيار الجليل وعلى مبلغ هذا الشعب من الجمال:

أراد ملك من ملوكهم (هو عمرو بن حجر ملك كندة جد امري القيس) أن يتزوج ابنة عوف بن علفم (الذي يقال فيه لا حرّ بوادي عوف لا فراط عزّه) وكانت ذات جمال فوجه إليها امرأة يقال لها عصام لتنظر إليها وتمتعن ما يأنه عنها فلما رجعت قال لها الملك « ما وراءك يا عصام » قالت: رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة يزيناها شعر حالك، إن أرسلته خلفه السلاسل، وإن مشطته خلفه عناقيد كرم جلاه الوابل، ومع ذلك حاجبان

كأنهما خطا بقلم، أو سودا بحجم، قد تقوسا على مثل عين المبرة، التي لم  
يرعجا قانس ولم يذعرها تسورة، بينهما أنف كداليف المصقول، لم يخنس  
به قصر ولم يعض به طول، حفت به وجتان كالأرجوان، في بياض محض  
كالجنان، شق فيه ثم كأنهما، لذيذ البتسم، فيه ثيابا غرور، ذوات أشعر، يتقلب  
فيه لسان، ذو فصاحة وبيان، يزين به عقل وافر، وجواب حاضر، يأتي  
بينهما شفتان حراوان كالورد، يجلبان ريقا كالشهد، تحت ذلك عنق كإبريق  
الفضة، ركب في صدرها تمثال دمية، يتصل به عضدان ممتلئان لحاء، مكتنزان  
شعرا، وذراعان ليس فيها عظم عيس، ولا عرق يحبس، ركبت فيهما كنفان  
رقيق قصبيهما، تعقدان شئت منهما الاتامل، تأني ذلك الصدر ثديان  
كالرمانتين يحرران عليها ثيابها - إلى أن قالت حين انتهت إلى وصف ساقبيها -  
وشيتا بشعر أسود، كأنه حلق الزمرد، يحمل ذلك قدمان، كعذو  
اللسان، - فبارك الله مع صنرها، كيف يطبقان حمل ما فوقهما،

ووصفهم الحسن والجمال في الشعر مشهور كقول بعضهم من قصيدة

وزين فوديتها إذا حسرت صافي الفدائر فاحم جعد

فالوجه مثل الصبح مبيض والفرع مثل الليل مسود

وجبينها صلت وحاجبها شخت المخط أزج ممتد

وكانها وسى إذا نظرت أو مدف لما ينفق بعد

فهذا مثال من أمثلة الجمال العربي الذي كان لرهط خديجة حظ منه

كبير ولم يكن حظها هي منه قليلا



## الفصل الثامن

### تراؤها والنزاهة عند قومها

وكان للسيدة « خديجة » مع ما آتاه الله من الجمال وفضائل النفس حظ من الثراء أيضا وراها في حياة أبيها وكانت تاجرة واملأ إياها محلها رأس المال باديء بدء

لم يكن اشتغال سيدتنا هذه بالتجارة شديداً يجب منه في قومها فاتهم كادوا يكونون كلهم تجاراً . تقضي بذلك طبيعة مقامهم في ذلك البلد، وشرعية تربيتهم على طلاب المجد واتساع السؤود، ومنافسة الاقرب والأبعد، ولولا شفقتهم بهذا لما سمعنا بصدى همهم في التجارة من بين إخوانهم الآخرين . ولولا ذلك لاستعابوا من العيش ما استطاب به ذلك الاعرابي الذي سئل عن طعامهم في البادية فقال لسائله : « بخ عيشنا عيش تملل جاذبه <sup>(١)</sup> ، وطعامنا أطيب طعام واهنؤه وأمرؤه ، القت <sup>(٢)</sup> والهيد <sup>(٣)</sup> والصليب <sup>(٤)</sup> والعليز <sup>(٥)</sup> والذآنين <sup>(٦)</sup> والمراجين <sup>(٧)</sup> والضباب <sup>(٨)</sup> واليرابيع <sup>(٩)</sup> والقنافذ <sup>(١٠)</sup> وربما أكلنا والله القد <sup>(١١)</sup> واشتوينا الجلد ،

(١) تملل من التملل وهو الشرب بعد الشرب «٢» القت القفصة وهي الرطبة من علف الدواب «٣» الهيد الحظل يكسر ويستخرج حبه وينقع لتذهب مرارته ويتخذ منه طيخ يؤكل عند الضرورة «٤» الصليب الودك يستخرجونه من العظام بعد أخذ اللحم منها «٥» العليز قراد كبير ونبات ينبت في بلاد بني سليم وطعام يتخذ في الجماعة من الوز والدم . (٦) الذآنين جمع ذؤنون نبات طويل ضيف له رأس مدور (٧) المراجين جمع عرجون العود من النخل (٨-٩-١٠) الضباب اليرابيع والقنافذ حيوانات معروفة «١١» القند جلد السمكة

( المأرج ١١ م ) استعداد قريش للإسلام ٢٨٩

فما نعلم أحداً أخصب مناعيشاً، ولا أرخى بالاً، ولا أعمراً حالاً، أو ما سمعت قول شاعر وكان والله بصيراً برقيق العيش ولذيذه :

إذا ما أصبنا كل يوم مَذْيَقَةً<sup>(١)</sup> وخمس تمرات صغار كواثر  
فنحن ملوك الناس خصباً ونعمة ونحن أسود الناس عند الهزاهز  
وكم متمنٍ عيشنا لا يناله ولو ناله أضحى به حق فائز  
فالحمد لله على ما بسط من حسن الدعة، ورزق من السعة، وإياه  
نسأل تمام النعمة «

هذا ما استطابه الاعرابي وحمد الله عليه هذا الحمد . وما  
الاعراب الا بشر قد يستطيب غيرهم من البشر ما يستطيعون اذا اخلصوا  
الى مثل معيشتهم ومارسوها لكن من الناس من لا يطلبون في الحقيقة  
ما يقيم مادة البدن فقط كما تطلبه سائر الحيوانات بل يتسابقون الى ما به  
الغبطة من المقتنيات والذخائر، ويتبارون في ما به التمايز من المستحسّنات  
والبدائع، وبمثل هؤلاء يزيد الله الانسان بسطة من المعارف، وقوة  
في المدارك

وقريش كما عرف القارىء كانوا ممن أعدّم الله لعمل عظيم في  
الارض ولا يتم ذلك بحسب سنته سبحانه ما لم يكن في سابق تربيتهم  
وطرق حياتهم ما يلائم الطريق الذي سيستأقونه وما أمأهم الا المفاصرة  
في السيادة على شعوب العالم بقدر ما يستطيعون فلم يكن لا ثقاً بمن هم  
عتيدون لمثل ذلك ان يجمعوا في ابداهم ولا يعرفوا العالم، ولا تميل نفوسهم  
الى خيرات السماء والارض الفائضة في ملك الله الواسع، بل اللائق

«١» المذيقه تصغير مذقة وهي شرقة من اللبن المزوج بماء كثير

٣٩٠ طلب قريش الثروة والمجد ( المأرجح ٥٠ م ١١ )

يهو لاء أن يكون كل واحد منهم أنطق حاله بقول ذاك الشاعر من أبناء ملوك العرب ( امرء القيس )

فلو أن ما أسمى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال  
ولكننا أسمى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي  
وحقا كانت حال القرشيين ناطقة بمثل هذا الكلام، وكلّ منهم له  
في المجد أرب، فلا بدع اذا انصرفت أقسمهم الى تحصيل المال فانه أعظم  
أدوات هذا المطلب وقد نجح فيه منهم كثيرون ونفعوا بالثني قومهم  
عند الشدائد منهم عبدالله بن جدهان الشير بجفته التي كان يقدمها للفقراء  
والمساكين من زوار مكة وأهلها وقد أمد قومه بالسلاح في حرب حاربوها  
وسلّح مئة كمي من غير قومه ممن حارب معهم وفي هذه الحرب قتل  
أحد أخوة السيدة « خديجة » العوام أبو الزبير <sup>(١)</sup> ومنهم أمية بن خلف  
ابن وهب وابنه صفوان الذي أُرعن النبي (ص) انه قال فيه « ان صفوان  
بن أمية قنطري الجاهلية وقنطر أبوه » أي بلغ ماله القناطير <sup>(٢)</sup> وكثيرون  
غير هؤلاء

فيالله ما أشبه قريشا الضارين في أغوار رمال العرب وأنجادها النمل  
المتاع من هذه البرية وإليها على سرا كهم سفن البر ، بالفينيقين الضارين

« ١ » تحاربت في هذه الحرب قريش وهوازن وكان عمر النبي (ص) فيها اربعة  
عشر عاماً وحضرها مع اعمامه يهيّ لهم التبل . وعبدالله بن جدهان سري شهيد ومث  
كبير وهو من نخذ بني جمح

« ٢ » أمية بن نخذ بني جمح أيضاً وقد قتل في وقعة بدر وكان مع أعداء النبي الجديد  
« ص » اما ابنه صفوان فاسلم بعد فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم



في أكباد تلك المياه وأطرافها لنقل البضائع من هذا الثغر الى ذاك على  
مراكبهم قلائص البحر ، فلئن كانت لا بناء تلك السواحل رحلتا شتاء  
وصيف بين زثير الامواج ، ومماركة الامواد ، فلا بناء هذه البراري أيضا  
رحلتا شتاء وصيف بين عواء السباع ، ومعالجة الرمال

لعمر الحق قد أدرك القوم ان الخير كل الخير لا قسمهم ولجيراتهم  
انما هو في أن يفتحوا للتجارة لانها في الاعم أقوى الاسباب المقربة من  
البدائم ، المبعدة عن الحياة الوحشية ، فقاموا بهذا المرغوب غير كسالى  
فكان لذلك ربحهم عظيماً من المال ومن ملكة الاختلاط بالاقوام في  
ذلك العصر السحيق والمكان البعيد . وكان بلدهم على هذا البعد عن العمران  
المتصل وسطاً صالحاً للتجارة في تلك البرية بواسطة الحج الذي كانت  
تجبه العرب الى البيت المعظم الذي فيها وجسدير ببلدة يحج اليها العرب  
ذلك الحج ان تكون للامن داراً ، وانما تبسق شجرة التجارة في رياض الامن .  
وكانوا يقيمون من حولها أسواقاً موقتة في العام قبيل أيام الحج  
ويفدون اليها ليدعوا ويشروا ، أشهرها سوق عكاظ كانت تقوم في أول  
يوم من ذي القعدة « وعكاظ » بين مكة والطائف ومن أسواقهم هذه  
« ذوالحجاز » وهو عند عرفات و « مجنة » وهي موضع باسفل مكة  
و « بدر » وهي بين مكة والمدينة

ولقد كان لسوق عكاظ من خطير الشأن ان النعمان بن المنذر ملك  
الحيرة على اتصاله ببلاد الحضارة وبعده عن مكة كان يمت كل عام الى  
سوق عكاظ جمالاً محملة بزاً وطيوياً لتباع في هذه السوق ويشترى له

٢٩٢ صادرات بلاد الحجاز ووارداتها (المنار ج ٥ م ١١)

بمنها من آدم الطائف<sup>(١)</sup> ما يحتاج اليه ولم يكن يرسلها في هذا الطريق البعيد التي تمر فيه على قبائل شتى حتى يجيرها له شريف من شرفاء العرب وهذا يدلنا على ان تلك البلاد لم تكن تأتي بالحصلات من غيرها فقط بواسطة التجارة بل كانت تخرج الى غيرها حاصلاتها أيضاً ومع ان الشام مشهورة بأغلبها وفواكهها كان تجار مكة يأخذون اليها من زبيب الطائف ذلك الزبيب الذي أدهش حسنه وكثرته سليمان بن عبد الملك لما رأى يبادره فقال : لله در قيس في أي عش أودع فراخه : يريد بقرى قيس ثقيفاً فكذاك كان اسمه وحسبك ان النعمان بن المنذر كان يرسل يأخذ من آدمها

فتجار مكة لم يكونوا يذهبون فارغي الاحمال الى الشام والى غيرها أحياناً بل كانوا يذهبون ببضاعة حجازيه مما تخرج تلك الارض من نبات ومعدن ويرجعون ببضاعة شامية او غيرها مما تخرج الارض وتصنع الايدي . وآخرون مقيمون غير ظاعنين ليقيموا السوق الدائمة في تلك البلدة «أم القرى»

ولا يستريح القارئ حتى يعلم ماذا كانت تخرج تلك الديار الى غيرها من الاشياء فانه كلما تصورها غير زراعية وغير صناعية يضيق ذهنه عن معرفة ما يصلح ان يخرج منها وله العذر في ذلك اما نحن فنذهب بحيرته ببيان وجيز لا يسعنا اكثر منه لثلا ينقطع الحديث فنقول ان تلك البلاد في نفسها رأس مال طبيعي كسائر البلاد. ذلك بما تشتمل عليه من معادن ونباتات برية يصلح بعضها للصبغ وبعضها للدبغ وبعضها للطب وبعضها

«١» آدم بضمين وفتحين الجلود المدبوغة والواحد آدم

(المنار ٥١١) حضارة قریش قبل الإسلام ٣٩٣

الطيوب وبمضها للتطيف فإذا أضفت الى ذلك ما كانوا يحففونه من ألبان  
الحيوانات وما يستخرجونه منها من الزبد ومن أصوافها وأوبارها وجلودها  
وما كانوا يحففون من التمر والزبيب وغيرهما بمجدبضاعة غير يسيرة يحمل  
مثلا الى أطراف بلاد الشام مما هو الى الحجاز أقرب بل ربما راج بعضه  
في العواصم

نحن اليوم لا نتصور مجتمعا حضريا الا بأن يكون فيه أمير مسيطر  
وجندله حافظون، وزراع وصناع وتجار للمعاش ضامنون، وقد رأى القارىء  
ان مجتمع «خديجة» قام بغير مسيطر وجندله نفسى ان لا يقيس على استثنائه عن  
سيطرة الامير استثناءه عن الزراعة والصناعة والتجارة كلاً فان هذه الثلاث  
لا قوام لقوم بدونها . ونحن اذا ذكرنا ما كان من النصيب لقوم «خديجة»  
منها لا نقصد به عدو مفاخر لهم الا من جهة انهم تطلبوا بدار كرم وهمهم  
على كل ما كان يحول بينهم وبين المقامرة في إدراك شأوالأثم والابتعاد  
عن البداوة من بعد ان أو شك جوار البادية ان يجذبهم اليها كما جذب  
إخوانهم الآخرين

فهم تحضروا في ذلك البلد بين أهل البادية وفي منقطع عن العاصرة  
وأعطوا الحضارة حقها على صعوبة الوفاء لها بهذا الحق . وتراهم  
مع هذا لم يخافوا سنن العرب فيما يأتون منه ويرفعون عنه فأقاموا  
ما احتاجوا إليه من الصناعة في بلدهم ولكن على أيدي عبيدهم لان العرب  
كانت تأنف من بعض الصناعة وكذلك أقاموا ما احتاجوا اليه من الزراعة  
على أيدي عبيدهم ولم تكن الزراعة كثيرة في بلدهم ولكن لم يكن خالياً

(المنار ٥) (٥٠) (المجلد الحادي عشر)



## ٣٩٤ التجارة في الجاهلية وأصناف الأموال (المنازع ٥ م ١١)

منها البتة فهناك اودية يعود فيها الزرع والفراش وتجرى فيها السيون . وما الطائفت منهم بعيد وهو أبو الزراعة

أما التجارة فلم تكن العرب تأت منها فلذلك باشرها القوم بأنفسهم كما باشر بعضهم بعض الصناعات التي ما كانوا يأتون منها . فمنهم من كان يبيع اللباس ، ومنهم من كان يبيع الأدهان ، ومنهم من يبيع اللحم ، ومنهم من يبيع الأداة والماعون والسلاح ، ومنهم من يبيع الرقيق خاصة . وبالجملة كان فيهم باعة لكل الأشياء التي تدور عليها حاجة الإنسان المتحضر من صنوف الأكسية المعتادة ، وضروب الأطعمة والأشربة المهدودة ، وصنوف الماعون والأداة اللازمة ، والسقاير المعروفة ، والحيوانات المتداولة ، والأسلحة الشائعة . ولم تكن سوقهم تلك خالية من السماسرة ويقال إن عمر بن الخطاب الخليفة الثاني الشهيد كان زازاً ويقال إنه كان سمساراً كما إن أبا بكر الخليفة الأول كان زازاً (رضي الله عنهما)

ومهما كان ذلك المجتمع أقل تشبهاً بالزخرف وأبعد عن التسابق إلى المتاع الزائد عن الحاجة نرى أن حاجاته التي تحتاج إلى عمل التجارة لم تكن قليلة و نرى أنها وحدها كافية لأن يكسب بعضهم بواسطتها كثيراً من المال فالتجارة ولا شك هي السبب الأول في ثراء قريش وكثرة الثريين منهم لا نألم نصلهم إلى ذلك الصدد وجهاً من وجوه المراجيح ونماء المال أعظم منها

وأصناف الأموال التي كان الثراء بها عندهم هي الذهب والفضة ، والابل ، والرقيق ، والأراضي للزرع والفراش ، والأراضي للمعدن ، ، أما الذهب والفضة فهما الوسيلة المعطى في تبادل العروض والأعيان

ومن مطالعة أخبار القوم يظهر انه كان لديهم منها شيء كثير . من شواهد ذلك قول النبي (ص) « ان صفوان بن أمية قنطر في الجاهلية وقنطر أبوه » ومن شواهد ذلك انه بعد ان ظهر الاسلام وانقسموا قسمين أحدهما مع النبي (ص) في دار هجرته ( المدينة ) والآخرون عدوا له في وطنه ( مكة ) أدت تصارييف المداوة الى اشتعال حرب بين الفريقين في الحبل المسمى ببدر بين مكة والمدينة فكان الظفر لاصحاب النبي (ص) ووقع في أيديهم من عشرين سبعة سبعة أسيراً اقتدوا أنفسهم ووزوا في فدية الواحد أربعة آلاف درهم فتكون الجملة نحو مائتين وثمانين ألف درهم أي نحو عشرين قنطاراً مصرياً من الفضة ولم يحدث في ذلك البلد الصغير أقل ضيق من هذا المقدار الذي وزن أهل كل أسير منه ما عليه . وما هو بالمقدار الكبير ولكنه يدل بالجملة على وفرة هذه الدراهم وتيسرها عند القوم . ومنها ما ورد من انهم اتفقوا على حرب النبي في أحد ربيع العير التي جاء بها يوسفان من الشام وقدره خمسون ألف دينار

وكانت النقود التي يتداولونها من ضرب الروم غالباً وبعضها كسروي ولكن لم يكونوا يتداولونها الا بالوزن ولعل ذلك لعدم اتقان ضربها على وتيرة واحدة وقد ظلت النقود الأجنبية الى أيام عبد الملك بن مروان فهو الذي أحدث النقود المكتوب عليها بالعربية

وأما الابل فهي أوفر أصناف أموالهم والابل مال كثير البركة لصاحبه فالقليل منها فيه الفنى والغناء، والنعمة والهناء، من درّها الغداء، ومن أوبارها الكساء، ومن جلودها الماعون والحذاء، ومن بعرها الوقود

للطبخ وكشف الظلماء، وظهورها سرا كـب للظمن والحمل والنجاء،<sup>(١)</sup>  
وبطونها أعظم بها واسطة للنماء، فبميشك أيها المطالع! في أي صنف من  
أصناف الأموال الحضرية يجد أحدا مثل هذه البركة، التي لا تحتاج إلى  
شيء عظيم من الحركة؟

وأما الرقيق فقد كان في ذلك العهد يعدُّ مالا في جميع جهات الأرض  
وكان هؤلاء القوم من أغنى الناس في الرقيق وإذا صرنا النظر عن استرجان  
هذه المادة نرى أن لا شيء أنفع من عمل الآلة المتحركة بنفسها، النامية  
بطبيعتها، المدركة بخلقها،

وأما الأراضي للزرع والفرس فكان فيهم أفراد يملكون منها كثيراً  
ومن متولي قريش من كان يملك أراضي في الطائف كتبة وشيبة ابني ربيعة  
(من نخذ بني عبد شمس) وغيرها

وكان نظر القوم إلى الزرع والضرع أعظم من نظرم إلى الذهب  
والفضة فقد سئل بعضهم عن الذهب والفضة فقال «حجران يصطكان إن أقيلت  
عليهما قداء، وإن تركتهما لم يزيدا، إن أفضل المال برّة سمراء، في ربة غبراء،  
أوعين خراة، في أرض خوارة»، أشار بهذه الكلمات القليلة إلى أن  
الموجب لنماء الثروة هو العمل في استخراج الخيرات الطبيعية من الأرض  
التي هي أول رأس مال أما الذهب والفضة المتداولان فواسطة لوزن  
حركات دولاب الأعمال فقط. وهذا هو الأس الصحيح في علم ثروة الأمم  
وأما أراضي المدن فالظاهر أن بعضها كان مشاعاً وبعضها كان مملوكاً  
أما كون بعضها مشاعاً فنأخذ من عادة العرب في جاهليتهم من أنهم لم



يكونوا خاضعين لمثل سنن البلاد التي فيها ملوك . والمعادن إنما يجعل لها حسي وحرما الملوك الذين يمدونها من جملة الاموال العمومية التي هي حق للغزاة العمومية خزانة المملكة . واما كون بعضها كان مملوكاً فنستفيد مما قرأناه عن ملك بعضهم لبعضها كالحجاج بن علاط السلمي<sup>(١)</sup> الذي كان يملك معادن بني سليم . وكانهم لشيوخ ملك بعض الناس بعض المعادن كان من الناس من يطلب من النبي بعد الفتح ان يقطعه شيئاً منها فقد طلب بلال بن الحارث ان يقطعه معادن القبلية (منسوبة الى قبل بفتحين) وهي ناحية من ساحل البحر بينها وبين المدينة خمسة ايام فأقطعه أياها وأقطعه جبل قدس للزرع

هذه هي أصناف الاموال التي كان بها ثراء هؤلاء القوم يضاف اليها العروض والامثلة التي كانت تتداول في التجارة والى مثلها يؤول اليوم كل ثراء فاز ملك الارض والمعادن لا يزال ايضا ينبوعاً ثوراً للثروة ، واستخدام الفعلة بأجر بخس نوع من الاستعباد والاسترقاق اعني ان فائده المادية كفائده ، والنقود لا تزال كثرتها وقلتها ايضاً معياراً

« ١ » الحجاج بن علاط ليس بقرشي بل هو من بني سليم ولكنه كان متزوجاً من قرشي « من بني عبد الدار وهط خديجة » وكانت أمواله تستثمر في مكة وكان مكثرأ من المال . أسلم يوم فتح خيبر ثم جاء الى النبي « ص » فقال له ان لي ذهباً عند امرأتي « في مكة » وان تعلم هي وأهلها باسلامي فلا مال لي فأذن لي لأمرع السيد واخبر أخباراً اذا قدمت أدراً بها عن مالي ونفسي فأذن له النبي « ص » وقدم مكة وأخذ أمواله بحيلة

« ٢ » جبل قدس معروف في جوار المدينة

عظيماً ثروة الاسم، وعلى مقدار ما تقدم كله يكون محور التداول للعروض والامته والاثاث والرياش .

وقد كان من لا يستطيع ان يباشر التجارة بنفسه او السفر من أجلها يعطي من ماله الى آخر على ان يتجر به ويكون الربح بينهما أو يعطيه بالربا وكان معروفاً فيهم او يستأجر آخر ليقوم له بتجارته والامانة هي الغالية فلم يكن بأس على المال بتسليمه الى من يتجر به بالموأجرة او المضاربة فلذلك لم تصعب التجارة على السيدة «خديجة» التي كان لها ما النساء قومها من الاستقلال في أموالهن ولم يكن لبيها ولا اخوتها سلطان في ذلك المال الذي كانت تبعث به الى التجارة مع ذوي الامانة ذاهبا وآييا

وفي إيثار هذه السيدة إرسال أموالها في التجارة على الاتجار بالنقد في مكة كما يفعل المرابون دلالة على بمد نظرها، وعلو همتها، وعظيم عطفها وخانها على وطنها فان الأوطان تسمى باقدام أرباب أموالها على نشر اسمها في العالم بالبيع والشراء واظهار صنوف الثراء، ولا يكون لها مثل ذلك بشيوع المتاجرة بالنقد

www.alukah.net

(المنار ج ١١ م ٥) زواج خديجة الأولى وولدها منه ٣٩٩

## الفصل التاسع

زواجها قبل النبي صلى الله عليه وسلم

تزوجت خديجة قبل النبي (صلى الله عليه وسلم) مرتين تزوجت أبا هالة النباش بن زرارة وتزوجت عتيق بن عابد المخزومي. وكان الزواج المرضي في الجاهلية كالزواج في الإسلام أي أن الرجل يخطب إلى الرجل بنته أو من له عليها ولاية ويقدم صداقها فيزوجها. وأما ما يذكرون من أنواع أنكحة الجاهلية الأخرى فهو من باب السفاح لا من باب الزواج المرضي ولم يكن السفاح والمخادعة من فعل الشرائف والكرائم، وإنما يفعل أغلب ذلك الإماء والحقائر.

وولدت هذه السيدة ولداً من أبي هالة وسماه «هنداً» على عادة العرب إذ كانوا يسمون للذكور أحياناً أسماء الإناث فمندها هوريب النبي (ص) أخو فاطمة لامها عليهما السلام وقد عاش وأدرك الإسلام وأسلم. روى عنه ابن اخته الحسن بن علي حديث وصف النبي (ص) المشهور في الثمائل وكان هند وصافاً وحديثه هذا أبلغ ما وصف به النبي صلى الله عليه وسلم وقد قتل هند مع علي يوم الجمل.

سيعجب القارئ من زيادة تعريفنا لابنها هذا ونحن لانكتفه السبب وذلك أننا نحب أن لا ندع شيئاً مما يتعلق بسيرة هذه السيدة مغفلاً ومهمللاً ولا سيما بعد أن رأينا أن كثير الذين كتبوا في سيرتها لم يتعرضوا لذكر ولدها هذا فكاد يضيع ويختفي إلا على المتقربين في بطون الأسفار الواسعة وعذرهم



## ٤٠٠ الإشارة الى حياة خديجة الجديدة ( المئذرة ١١٠٠ )

في ذلك انهم انما يترضون لسيرة هذه الفاضلة على الغالب منذ تشرفها بزواج النبي (ص)

وان لنا - والحق يقال - حقاً على هؤلاء الناس الذين يريدون أن يعرفونا بشخص ممن مضى فيسكون أنفسنا بالشيء من أخباره ثم يقطعونه ويجذبونها الى شيء آخر

على اني لا أنكر انه اذا سطعت الشمس لا يبقى لبعض السراج مكان. فن ذا الذي يعلم ان هذه السيدة اتصلت بـشمس المهدي « محمد » صلى الله عليه وسلم وولدت منه « فاطمة » الزهراء أم الحسين ثم يرجع باحثاً عن ابنها ذاك من زوجها الاول ابي هالة ؟

لعمرك اذا وصلت بديرتها الى هذا المقام تضاءلت امام نظرك كل ما نسمع عن أيامها الماضية واستشرفت نفسك الى الاطلاع على هذا الشأن الجديد الذي سيكون لهذه السيدة مع هذا الزوج الكريم الذي رن الكون كله باسمه الشريف

فن هنا بدء الحياة العالما لهذه السيدة ، ومن هنا بدء خلود اسمها في لوح الوجود ، وبدء إشراق مواهبها في سماء السمود ، أمامها الآن الشمس بلا حاجز ، فليستمد جوهرها القابل ، وليفيض نوراً وسناء ، وليتبارك كلاً وبهاء